

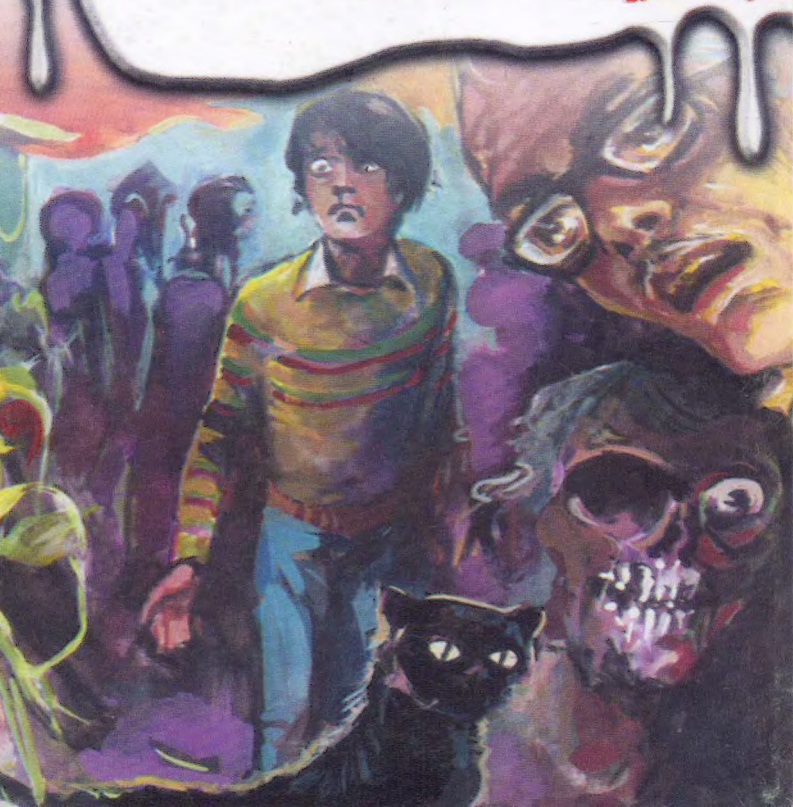
روايات مصرية للجيب



46

أسطورة طفل آخر

ما وراء الطبيعة



ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرهبة والإثارة

روايات مصرجة اللبيب

أسطورة طفل آخر

منذ عاد (رامى) الصغير من تلك
المواجهة المؤسفة لم يعد كما كان .. لقد
صارت له نظرات شريرة غريبة .. صارت
عيناه لا تنغلقان فى أثناء النوم .. صار يرسم
أشكالاً كئيبة مريعة لا يمكن أن يرسمها طفل ..
صارت بصماته تثير ذهول أى خبير بصمات
يفحصها .. أحياناً أحسبه لم يعد هو .. كأنه
طفل آخر يشبهه .. أحياناً أعتقد أنه ليس
طفلاً على الإطلاق .. فما رأيك فى
هذا كله يادكتور (رفعت) ...؟



د. أحمد خالد توفيق



العدد القادم :

أسطورة المنزل رقم (5)



التمن فى مصر
ومايعا
فى سا

46

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

أسطورة طفل آخر

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

مصنف مصرى مائة فى المائة
لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

إشراف

الأستاذ/حمادى مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناسر
وكل اقتباس أو تقليد أو تزيف
أو إعادة طبع بالتزوير يعرض
المرتكب للمساءلة القانونية .

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطابع ١٠، ٨ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية
بالعباسية - منافذ البيع ١٠، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى
مصر الجديدة - القاهرة ت : ٦٨٢٣٧٩٢ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع

ماورا، الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة طفل آخر

بقلم :
د. أحمد خالد توفيق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع
٢٥٨١١٩٧ - ٢٤٣٥٥٥٤ - ٥٩٠٨١٥٥

فاكس : ٢٤٣٧٠٠٢

مقدمة

لن أستطيع مواصلة النوم ..

لولم يهاجمنى ذلك الكابوس ، لاستطعت أن أنعم
بخمس ساعات كاملة .. وهى بالنسبة للشيوخ كافية
للغاية .. إن الشيوخ - كل الشيوخ - يتمتعون بنوع
خاص جداً من الأرق يسمونه (الاستيقاظ قبل الأوان) ،
وهم عامة ينامون أقل من الشباب بكثير ..

أما الآن فالفراش يبدو لى أرضاً معادية ، ولم يعد
فراشى ، وقد تجعدت الملاعة وانثنت الوسادة .. ثم
إن ذراعى وساقى قد نسيت على ما يبدو الوضع المريح
الذى بدأت به النوم ..

لن أستطيع النوم ثانية ..

لذا أعقد رباط الروب الصوفى حول خصرى ، وأتجه
إلى الصلاة لأجلس هناك .. تعالوا معى .. هل ترغبون
فى بعض الشيكولاتة الساخنة أو الشاى ؟ إن الدار

داركم ، لكن لا تعبثوا بشيء ولا تحطموا المزهريات
أو الأكواب من فضلكم .. إن فى هذا عناء - أى عناء -
بالنسبة لشيخ مريض يعيش وحيداً ..

عم أحكى لكم الآن ؟

سأحكى لكم عن التوءمتين اللتين كانتا تشعران
بالشئ ذاته كلما ماذا ؟ حكيتها ؟ غريب هذا !
إن ذاكرة المرء لم تعد مما يطمئن السامعين ..

ليكن .. هل أحكى قصة الطوطم ؟ إنها مخيفة بما
يكفى ، لكنى خارج من كابوس ولا أرغب لحظة فى أن
أحكى كابوساً آخر .. ليكن .. ثمة قصة لا بأس بها
أبداً - أو هذا ما أعتقد - فيها بعض الغرابة والرعب
مع بعض التهكم الذى ستفهمون سببه حالاً ..

هل أحكيها ؟ حسن .. قربوا منى رءوسكم وآذانكم
وأصغوا لما أقول ..

★ ★ ★

١- من البداية ..

سأحاول أن أتقصى القصة من بدايتها ، ولا أثب
إلى أية استنتاجات لا تتراحون لها .. إن الطريقة
المثلى هى أن تستنتجوا أنتم كل شىء بأنفسكم ..

أكثركم يعرف القصة الكاملة ، لكنى أستسمحكم
فى إعادة سردها كما هى ، لأن البعض لا يعرف حرفاً
عما أتكلم عنه ..

أنتم تعرفون (هناء) .. من هى ؟ (هناء عبد الجليل)
قريبتي طبعاً .. هل توجد فى العالم (هناء) أخرى ؟ إنها
تقيم فى إحدى ضواحي القاهرة .. وهى - كما لا بد أنكم
تعرفون - معلمة ابتدائى ، فى الأربعين من عمرها ..
تعرفون كذلك مشكلاتها التى لا تنتهى مع الإيجاب
والتبويض .. الخ .. لقد ظلت تتردد على عيادات أطباء
النساء عشرين عاماً قبل وبعد إنجابها لـ (رامى) ..
فى البداية لتنجب طفلها الأول .. وفى النهاية كى تتمكن

من إنجاب طفل ثان ، بعدما أوشك مبيضاها على
التقاعد ..

إن (هناء) مسكينة كما تعلمون .. لكن المشكلة
هى أنها مملّة إلى حد ما ، ولا تكف عن إمطارى
بالأسئلة عن احتمالات الإنجاب ، وعن الآثار الجانبية
لترساة العقاقير التى تتعاطاها والتى - بحكم الفترة
الزمنية - لم تكن بهذه الكفاءة المرجوة .. فأقول لها
فى صبر :

- « أتمنى لو أساعدك لكنى طيب بطنى .. أقسم
بالله العظيم إننى طيب بطنى .. مخمى بأمراض الدم
لا أكثر ولا أقل .. »

فتقول بطريقتها المتبسطة :

- « لكنك بالتأكيد تفهم فى هذه الأشياء .. أليس
كذلك ؟ »

وهو منطق شائع يفترض أن مهندس الكمبيوتر لابد
- بالضرورة - أن يكون قادراً على بناء مجمع سكنى ..

مادام (يفهم فى هذه الأشياء) .. هذا وإلا كان
حماراً صرفت عليه الدولة مالا لا طائل من ورائه ..

زوج (هناء) مهندس يعمل فى الصحراء فى
شئ ما .. وهو لا يعود إلا مرة فى الشهر حيث
يمكث ثلاثة أيام ثم يسافر ثانية ، ويبدو أن راتبه
لا بأس به أبداً ، فهو يكفل لها حياة لا بأس بها
بمقاييس تلك الأيام .. وقد استطاع أن يبتاع فيلا
صغيرة فى تلك الضاحية ، تعيش فيها مع (رامى) ،
ولحسن الحظ أن انشغاله الدائم كان يحول بينه وأن
يكون ودوداً .. وأنا بطبعى أمقت هؤلاء الودودين
الذين لا يكفون عن زيارتك ويطالبونك بالمثل ..

(رامى) الابن فى النسبة من العمر الآن ، وهو
شئ ملائكى رقيق .. وكان الأجدر به أن يكون فتاة ..
لقد اجتمعت ملامحه البريئة المرسومة بدقة ، مع
طباعه الخجول التى شكلها التعامل مع الأم لا الأب ،
لتجعل منه فتاة ذات خفر وحياء تلبس ثياب الأولاد ..
ويمكن بسهولة أن تفهم أن هذا الصغير تربية امرأة ..

امرأة تخاف عليه كثيراً وتفترط في تدليله وتمنحه كل ما يريد ، وتخوفه من العالم الخارجى .. (ابن أمه) هو المصطلح الشائع .. وأنا لا أحبه كثيراً لأنه يذكرنى بالكلب الجالس أمام الجراموفون المرسوم على أسطوانات (صوت سيده) الشهيرة ..

باختصار كنت أعرف أن تربية هذا الصغير ليست قوية ، وأن مستقبله مظلم ملئ بالعقد النفسية ، مالم ترزق الأم بطفل ثان ، يبدد بعض اهتمامها المرضى بصغيرها الوحيد هذا ..

الآن يعرف من لا يعرف مقدار ما يعرف من يعرف ..

يمكننا البدء إذن ..

★ ★ ★

كان ذلك اليوم من شهر مارس هو اليوم الذى حدثت فيه تلك المعجزة .. لقد سمحت له الأم بالخروج مع اثنين من أبناء الجيران هما (أكرم) و (سامح) ..

وهما شيطانان صغيران خبرا كل شىء فى الحياة
وعمرهما ثمانية أعوام ، ويملكان خبرة أى زعيم عصابة
من مطايرد الجبل حين يصل لسن الخمسين ..

كان يوماً من شهر مارس .. بالتحديد فى الساعة
الرابعة عصرًا ، والشمس تغمر الشارع بذلك الضوء
الواهن الذى أرهقه العمل طيلة النهار ..

كانت الجولة تتضمن ركوب الدراجات .. وكانت لدى
الصبى دراجة صغيرة لم يستعملها قط خارج حدود
الفيلا ، لذا سمحت له الأم باستعمالها مع صديقيه
الجديدين ، وإن حرصت على أن ترسم لثلاثتهم مسار
الرحلة .. هذا الشارع الهادئ الخالى من السيارات ..
حتى تصلوا إلى المنعطف الأيمن .. ثم تمضون فيه
لتمشوا عبر المرج .. بعدها يقومون بدورة مع عقارب
الساعة لتعودوا لنفس النقطة .. والويل لكم كل الويل
لو خرجتم عن هذا المسار ، أو مشيتم فى شارع
به سيارات ، أو تكلمتم مع الغرباء .. أو ... أو ...

- « عندها سأشد أذانكم هكذا .. »

- « أى ي ي ي ي ي ي ي ي ي ي ! »

وبكل أعصابها المتوترة الموشكة على الانهيار ،
اعتصرت أنف (سامح) حتى كانت تنتزعها .. إن الصبى
لم يفعل شيئاً لكنها تؤمن بمنطق (جحا) العبرى ؛
إذ صفع ابنه لينذره من إضاعة كيس النقود .. وكانت
حجته فى ذلك أنه لن يجنى شيئاً من صفع الطفل بعد
إضاعة الكيس .. أما الآن فإن الصفعة ستؤلمه إلى
حد أنه سيبدل جهده كى يتلافى صفقة أخرى ..

وكانت ككل النسوة العصائيات تتوقع كارثة .. بالتأكيد
ستحدث كارثة .. لكنها لا تستطيع منع الصبى من هذه
النزهة التى وعدته بها ، والحاجة إلى أن يعيش حياة
طبيعية مع أقرانه .. صحيح أنها ترى بعين اليقين جثثة
الممدة فى الطريق وحولها بركة دم ، وعشرات المارة
يمزقون ما معهم من ورق صحف لتغطية وحيدها ، لكن
هناك احتمالاً لا بأس به أن ينجو الصبى لأن هذه أول
مرة .. وهو لا يعرف أنها آخر مرة كما تنتوى هى ..

انطلقت الدراجات بالأطفال الثلاثة ، وبعد ثوان
تواروا عن عينيها ، ودخلت هي الفيلا وهي تجتر
خواطرها السوداء المرعبة .. وأقسمت إن هذه آخر
مرة في حياتها تقدم فيها على حماقة كهذه ..

وبالطبع نعرف جميعًا أن ساعتين مرتادون أن يعود
الصبية ، والشك الذى كان يمزقها صار يقينًا
مؤلمًا : لقد حدثت كارثة .. بالتأكيد حدثت كارثة ..
إنها الآن لا تحتاج إلى أى جهد تخيل كي ترى الجثة
الملوثة بالدماء والجريدة .. فجأة امتلكت القدرة على
اختراق الجدران ببصرها لترى المأساة ..

وفى النهاية وضعت الكنزة بشكل ما على كتفيها ،
وأمسكت كيس النقود وغادرت الدار عازمة على أن
تقطع الطريق فى ذات المسار الذى قطعه القردة
الصغار .. هذا بالطبع لو كانوا قد فعلوا كما أمرتهم ..

لكنها - كما تعرفون جميعًا - لم تبتعد كثيرًا لأنها
وجدت الصبيين للوغدين (سامح) و (أكرم) قادمين
من بعيد ، وهما يقودان الدراجتين بسرعة النيازك ،

وعرفت من وجهيهما الممتنعين أن أسوأ كوابيسها
قد تحقق ..

★ ★ ★

- « سأسمع القصة للمرة الثالثة وبهدوء هذه
المرة .. »

قال (أكرم) لاهثاً وهو يرتجف :

- « أقول لك يا (تانت) إن (رامى) لم يلحق
بنا .. لقد دخلنا فيلا (أبو العلا) .. و.... »

وأنتم تعرفون فيلا (أبو العلا) بالطبع وتعرفون
ما يقال عنها لهذا لن أحكى أكثر ..

أمسكت (هناء) - قريبتى الباسلة - بالصبى من
مجمع قميصه ، وصاحت فى غل :

- « ولماذا فعلتم يا حمقى ؟ »

- « ك كنا نريد أن نجمع بعض ورق التوت
من الشجرة التى هناك .. إن لدى بعض دود القز ؛
فهذا هو الموسم كما تعلمين يا (تانت) .. »

- « (تانت) ؟؟ هل تركتم فيها مكاناً (تانت) ؟ »

وأطلقت فيضاً من البذاءات التي لا أستطيع ذكرها
طبعاً ، لكن بوسعك تخيلها .. إن سمعة فيلا
(أبو العلا) سيئة طبعاً فى هذه الضاحية ، ولا أحد
يدنو منها أبداً .. يكفى أن هذه الفيلا الفسيحة الفاخرة
لا تجد من يشتريها بسعر هو ملائم .. والنتيجة هى
أنها تحولت إلى نوع من الخرائب الإغريقية .. إنها
الحلقة المفرغة المعروفة : سمعة مريبة تحيط
بالعقار ، فيحجم عنه الناس ويصير مهجوراً ، من
ثم تزداد سمعته المريبة أكثر ..

قال (سامح) وهو يرتجف :

- « كنا فى الحديقة ثم .. ثم رأينا من يحاول
اللاحق بنا .. لا أدري يا (تانت) .. لكنه كان مخيفاً ..
شكله آدمى لكنه لا أدري ما الذى أثار هلعنا ..
لكننا بادرنا بالفرار .. »

- « و (رامى) لم يلحق بكما ؟ »

- « نـ .. نعم .. إنه بطيء فى قيادة الدراجة ،
وربما اختل توازنه أو شىء من هذا .. »

كان هذا كافيًا لـ (هـاء) التى لم تنتظر سماع أكثر ،
وسرعان ما تركت الغلامين ، وهرعت تثب وثبًا نحو
فيلا (أبو العلا) .. لا يطم سوى الله ما يحدث هناك ،
لكن هذا اليوم النحس يقول إن عليها أن تسرع ..

★ ★ ★

٢ - بسطويسى والتهاب المرارة وما إلى ذلك ..

يجب أن نقول هنا إن (هناء) - بالطبع - لم تصدق حرفاً من كلام الغلامين عن الغريب مخيف الشكل .. إنه خيال الصبية طبعاً .. التسلسل الخفى والإثم والخوف من المجهول ، كل هذا جعل خيالهما كالقتيل الجاهز للاشتعال .. بالطبع كان فى الفيل شخص ما .. خفير أو متسلل ، وقد برز لهما فطار عقلاهما شعاعاً .. إن القط المتسلل يكون حزمة من الأعصاب المرهفة ، فلو أنك صحت فيه (بخ) لوثب فى الهواء مترين ..

لكن هذا لا يجعل الأمور أجمل ولا يجعل الحياة أروع .. إن وحيدها الآن فى الفيل مع متسكع .. يجب أن تلحق به ، والويل كل الويل لو جرو الأحمق على إثارة ذعر (رامى) .. إنه لا يعرف أية حماقة يقترفها .. إنها لم تمزق حنجرة إنسان بأسناتها قط على ما تذكر ، لكنها تجد الفرصة الآن سائحة للتجريب ..

وها هي ذي الفيلا هناك عند قمة الشارع ..
جائئة كالكابوس في ضوء شمس العصر الواهنة ..

تدنو (هناء) منها ، وقد بدأ حماسها للقتل يخبو
قليلاً .. الحق أن المكان رهيب .. لا ينكر هذا
إلا مدع .. وقد لعبت الأشجار الكثيفة المتشابكة دور
ستار المسرح لهذا الرعب درامى الطابع .. أشجار
لن تندesh لو قيل لها إنها من العصر الطباشيرى ،
فقط لو أنها سمعت شيئاً عن هذه العصور
الجيولوجية .. لقد رأيت هذه الفيلا فيما بعد ، ولم
أكن لأندesh لو برز رأس ديناصور من بينها ليخور
خواراً عميقاً يرج الشارع رجاً ..

وقفت عند البوابة الصدئة ونظرت إلى الداخل ..
إلى الحديقة التى لم تر أية عناية منذ عشر سنوات
حتى تحولت إلى دغل .. وبرغم هذا استطاع الحمقى
أن يدخلوها بدراجاتهم .. إن كل الصبية أو غاد ..
كلهم يستحق الجلد بالسياط .. ثمّة قطعة تهرب من
هنا لهنالك ، وسيارة عتيقة من طراز (تاونس)

تقف وحدها فى الفناء .. سيارة لم يعد فيها إطار
واحد ، ولا زجاج نافذة ..

لن تجد الصبى .. حتمًا لن تستطيع أن تجده هنا ،
فالمكان أعقد من اللازم .. ربما كان عليها أن تستعين
بأحد المارة كى

وهنا وجدته يخرج من قلب الحديقة قادمًا نحوها ..

★ ★ ★

هرعت إليه واحتضنته فى نهم ، ثم أبعدته عنها
للتفحصه جيدًا .. هل أنت بخير ؟ لا جراح ولا خدوش
ولا كسور ؟ لا شئ .. من جديد عادت تحتضنه
وتلثم كل ما بلغته شفتاها من وجهه ويديه .. كان
يمشى والدراجة إلى جاتبه ، فأخذته من يده عائدين
إلى الدار ، ولم تنس أن ترمى الفيلا الجائئة
كالكاپوس بنظرة كراهية حقود .. لماذا لا ينسفون
هذه الأماكن الشريرة بالديناميت ؟
وفى الطريق واصلت تأمله .. كان محتفظًا بنفس



وهنا وجدته يخرج من قلب الحديقة قادما نحوها ..

الطابع الملائكى على وجهه ، وإن كان وجهه محمراً
انفعالاً ، وقد تهدلت خصلة شعر سوداء لتغطى عينه
اليسرى ، فبدا لها هشاً رقيقاً لم تره من قبل ..

- « هل أنت بخير ؟ هل آذاك هذا المتسلل ؟ »

هز رأسه أن لا .. وقال :

- « لم يكن إلا متسولاً أقام هنا .. وقد فرحين
رآنا .. يبدو أننا أفزعناه أكثر مما أفزعنا .. »

أخيراً ترى معالم الفيلا التى يعيشان فيها .. وكان
الغلامان قد فرا الى داريهما .. هذا من حسن حظهما .
سألته وهى تسمح له بالدخول قبلها :

- « وماذا كنت تفعل كل هذا الوقت بعد ما فر
الخنزيران الآخران ؟ »

مد يده فى جيبه وبخجل قال :

- « لا شىء .. أردت أن أجلب لـ (أكرم) بعض
ورق التوت .. ما دمنا قد دخلنا » .

ومن جيبه أخرج قبضة مفعمة بالورق الأخضر

المشرشر إياه ، فابتسمت الأم فى رفق وقاومت رغبتها
فى أن تبعثر هذا الهراء فى أرجاء الحديقة ..

- « هل كل شىء تمام يا هاتم ؟ »

كان هذا هو عم (بسطويسى) بواب الفيلا الصعيدى
العجوز ، وهو شيخ فان من أقارب زوجها ، لا يفعل
شيئا تقريبا إلا البقاء حيًا والبصاق .. وكان قد شعر
بأن شيئًا ليس على ما يرام يجرى هنا ..

- « لا شىء يا (بسطويسى) .. خير .. »

قال فى ذكاء وهو يلف سيجارة من دفتر ورق البافرة
الذى يضعه فى عمامته دومًا :

- « إن صبية هذه الأيام شياطين .. لابد من يد
من حديد للتعامل معهم .. »

ثم تذكر فأضاف :

- « ماعدا البك الصغير طبعًا .. »

لم تعلق الأم وإن كانت توافق على كل حرف قاله ..

★ ★ ★

كانت هذه المغامرة البسيطة هي بداية قصتنا الحقيقية .. وسأحاول فى الصفحات التالية أن أبرهن أنها لم تكن مغامرة بسيطة إلى هذا الحد ..

فى تلك الليلة أخذ (رامى) إلى النوم ، وهو لم يكن من هؤلاء الأطفال الشياطين الذين ينامون وحدهم .. هؤلاء الأطفال الذين تمسهم الغفارىت أو تمتص الوطاويط دمهم ، أو تعض سحالى الورل أصابع أقدامهم .. كان ينام فى فراش أبويه بالطبع بعد عدد لا بأس به من القصص المسلية ..

أخيرًا نام ، وراح صدره الصغير يعلو ويهبط تحت الأغطية .. راحت تتأمل وجهه البرىء الرقيق .. لا توجد مشاكل .. بالتأكيد لا توجد مشاكل .. لكن لماذا تشعر بشعور ما .. شعور ما .. لا يمكن وصفه ؟ شىء ما فى وجه صغيرها كان هناك أمس ولم يعد ، أو شىء لم يكن موجودًا وصار موجودًا .. لا تستطيع التحديد بالضبط ، لكنها لم تحب هذا الشعور كثيرًا ..

ضايقتها أكثر أن عينيه لم تكونا محكمتى الإغلاق فى أثناء النوم .. ثمة أشخاص كثيرون يعانون من هذا بسبب ضعف خلقى فى عضلة الجفن ، لكن (رامى) بالتأكيد لم يكن منهم ، ولم تستطع أن تحب هذا البياض الأملس المسطح يرمقها بلا هوادة من بين جفنين بأبواب الإغلاق .. لا بد أنه إتهاك اليوم الطويل قد جعله عاجزاً عن بذل جهد بسيط كخلق العينين ..

المهم أنها نهضت وبدأت تستعد للنوم بدورها .. تأكدت من أن الموقد مغلق ، وأن الأضواء مطفأة .. صلت العشاء ومررت على النوافذ التى أصر زوجها على تدعيمها بالحديد .. « لأن هذا العجوز لا يصلح لحراسة جبل .. » .. ثم تهيأت لدخول الفراش حين ..

حين بدأ نلك الألم الغامض المبهم فى كتفها الأيمن .. ثم بدأ يزحف ببطء ليعتصرها كلها .. ثمة ثقل قاهر تحت ضلوعها اليمنى أسفل الصدر مباشرة .. مع رغبة عارمة فى القىء ..

لم تكن بحاجة إلى طبيب لتعرف أن هذه هى آلام

المرارة .. كانوا قد أخبروها بذلك من زمن ،
وما كان يجب أن تلتهم البيض المقلى على العشاء ..
لكنه النهم الآدمى الشهير .. « دوام مدامة ، ودوام
وطء ، وإبخال الطعام على الطعام » .. هذه هى
الأشياء الثلاثة القاتلة كما عرفها الطبيب الأعظم (ابن
سينا) .. وهى ما كانت تحفظ هذا البيت لكنها تحفظ
شيئاً واحداً مهماً فى هذه الساعة : رقم هاتف
الأحمق المدعو (رفعت اسماعيل) ..

★ ★ ★

وبعد ساعة كنت أقف هناك جوارها وهى ممددة على
الأريكة ، انتهى من حقنها بدواء مزيل للتقلصات ..

بدا لى أنها تتحسن .. بالتأكيد تتحسن .. ومن يدري ؟
ربما لم تكن المرارة أصلاً ، لأن نوبات هذه الأخيرة
تكون كالأعاصير فى عنفها ، وغالباً لا تزول بهذه
البساطة ..

قالت لى وهى تحاول التنفس :

- « سلمت يداك .. لكن ريقى قد جف تماماً وفمى
كقطعة الحطب .. لماذا ؟ »

قلت وأنا أمسح ذراعها بقطعة القطن :

- « هذا تأثير السم كما تعلمين .. إن الفيلا الآن
تنتظرني لسرقتها ، مفتوحة كقلب صديق .. »

ضحكت قليلاً حتى آلمها الاهتزاز فتأوهت .. ثم
قالت :

- « معذرة .. فلم أكن أعرف أحداً أثق به فى
هذه الساعة كما تعلم .. آى .. واضطرت لإيقاظك
كى .. »

- « مفهوم .. مفهوم .. أنا فى متناول اليد أكثر
من اللازم .. »

نظرت إلى السقف وقالت :

- « هل ستتكرر هذه النوبة ؟ »

- « بالتأكيد وستكون أسوأ .. لماذا تهتمين بهذه
الأمور ؟ »

- « المشكلة هي (رامى) .. »

ونظرت فى قلق إلى غرفة النوم ، حيث كان الصغير يغط فى عمق ، وأردفت :

- « المشكلة أننى مقطوعة من شجرة .. لا أقارب

لى فى هذه المدينة سواك .. وأبوه غير موجود الآن .. تخيل أن أصاب بنوبة كهذه وتكون أعنف .. ماذا سيفعل الصغير وقتها ؟ »

كلامها على شىء من المنطق دون شك .. والجدير بالذكر هنا أنه لا يوجد جيران محددون على بعدٍ مائتى متر من هنا .. لكنى لا أصدق أنها لا تملك حلاً على الإطلاق .. لا بد من شخص ما فى مكان ما يعرف كيف يعنى بطفل حتى تشفى أمه .. هناك أحقق واحد بالتأكيد ..

ثم فهمتُ الفخ الذى تقودنى إليه ببراعة ، كما يفهم لاعب الشطرنج فجأة بعد ما التهم عشرات القطع ، أن خصمه ليس معنوها وأنه يقوده إلى شرك مميت .. قلت مسرعاً :

- « لكنى لا أستطيع العناية به .. أنا بصعوبة أعرف

كيف أظل حياً .. لا تتصورى أن »

رفعت سبابتها نحو فمى فى شىء من دلال وقالت :

- « لم أطلب هذا ، ولكنى أطلب وعدًا .. »

ثم همست فى أذنى :

- « لو حدث لى شىء ، ولم يكن لـ (رامى) ملجأ

آخر سواك ، عندئذ ستعنى به .. »

هل تنوى الموت ؟ لو حدث هذا لكانت كارثة

الكوارث .. كلا .. إن الأب موجود وحى والحمد لله ..

فى أسوأ الظروف لن يزيد الأمر على بضعة أيام ..

ومهمتى إلى حد ما لن تكون معقدة : أمنع هذا القرد

الصغير من قتل نفسه ..

- « لن يحدث لك شىء .. هذا ما أعدك به الآن .. »

وحملت حقيبتى ، واتجهت إلى الباب ، وقد اطمأنتت

عليها إلى حد ما ..

★ ★ ★

أيام كثيرة تساقطت قطرات الماء ، من صنوبر

الزمن .. واحتشدت فى جدول صغير لتصنع شهراً ..
عشت حياتى أو لم أعشها .. المهم أننى ابتعدت
كثيراً عن مشاكل (هناء) الصحية والنفسية ، فما
أدرى إلا وقد جاءتنى فى مكتبى بالجامعة ذات صباح
كئيب ..

وكانت لديها قصة غريبة بعض الشيء ..

★ ★ ★

٣ - معلمة رحلت ..

بعد عبارات الترحاب المملة سألتها عن الصغير ،
فقالت إنه فى المدرسة .. إن العام الدراسى يلفظ
أنفاسه ، ويبدو أنهم يريدونه فى المدرسة للمراجعة
أو شىء من هذا القبيل .. لقد أرسلته للمدرسة اليوم
خصيصاً كى لا يأتى إلى المستشفى معها .. قدمت
لها بعض المياه الغازية فتشمتت الزجاجة فى تقزز
ومسحت فمها - الزجاجة - بمنديل ورقى عدة مرات ،
فهى من الطراز الهستيرى الذى يحسب المستشفى
مجموعة من الجراثيم تم تجميدها على شكل جدران ..
وبالتأكيد يوجد لدينا صنبور يعبئ بكتريا الطاعون فى
زجاجات مغلقة نقدمها للضيوف الحمقى .. لأسباب
كهذه لم تحضر (رامى) معها ..

قالت لى وهى تضع زجاجة الطاعون جانباً :

- « دعنا من المجاملات ، فليس هذا هو السبب
الذى جئت من أجله وأخذت إجازة من المدرسة .. »

- « فلندعنا منها .. »

- « أنا قلقة من أجل (رامى) .. »

قلت لها فى ملل وأنا أتأرجح فى مقعدى :

- « كل الأطفال فى سنه يسعلون ، ولم يأكلوا

شيئاً منذ خمسة أشهر فى أية لحظة ترينهم فيها ..

هل لديك شىء آخر يقال على سبيل التجديد ؟ »

- « لقد مات الأستاذ (مجدى) .. »

تراجعت للوراء حتى كاد المقعد يسقط وقلت فى

جزع :

- « مات ؟ كيف ومتى ؟ »

- « نعم مات .. ولهذا جئت الآن .. »

- « ولكن من هو الأستاذ (مجدى) ؟ »

- « إنه معلم فى مدرسة (رامى) .. ظننت هذا

مفهوماً .. »

★ ★ ★

قالت (هناء) :

- « أنت تعرف أن هؤلاء الغلمان ساديون حتى النخاع ،
مولعون بالإيذاء وإحداث الأضرار .. مجرد حيوانات
شرسة تمشى مكشرة عن أنيابها ، وهى لا ترحم الضعف
أو الوهن .. و (رامى) ضعيف واهن .. إنه لا يعرف
شيئاً عن العالم الخارجى ولا يعرف كيف يتعامل معه ،
وقد تربى على أرق المشاعر وأنظفها .. ليس له مكان
فى تلك الغابة القذرة ..

- « حتى لا أطيل عليك أقول : إنه تعرض للتحرش
به فى المدرسة .. هناك هذا الصبى البدين الذى يدعى
(هشام) ، والذى قرر أن هدفه الوحيد فى الحياة هو
التنغيص على ابنى الرقيق .. لقد تشاجرت مع أمه
مرتين من قبل ، وهى امرأة بدينة مزعجة مثله ، وأعتقد
أنه لو منحنى أحدهم مدفعاً رشاشاً فإبنى أعرف ماذا
سأفعل به بالضبط .. سأجعل العالم مكاناً أجمل بعد خمس
دقائق لا أكثر .. »

كأنت (هفاء) قد بدأت ترتجف غلاً ، وتتدحرج فى المقعد ، وراحت تمزق المنديل الورقى بين أناملها ، فقلت لها مهدئاً :

- « ما علينا .. أعتقد أن القصة تحوى أكثر من حقدك على (هشام) هذا وأمه .. »

قالت وهى تحشد أعصابها :

- « نعم .. بالطبع .. »

قالذى حدث هو أن مشادة ما وقعت بين (رامى) و (هشام) دون أن تلاحظ المعلمة ، كانت نتيجتها هى لكمة فى بطن (رامى) دون أن تلاحظ المعلمة ، ثم تمزيق كراسته دون أن تلاحظ المعلمة .. وفى اللحظة التالية انفجر (رامى) غضباً ووثب لينشب أنيابه ومخالبه فى (هشام) ، وفى هذه المرة لاحظت المعلمة ..

- « الله .. الله ! لقد صار هذا (سويقة) وليس فصلاً .. »

قالت لها المعلمة طبعًا ، ولسبب ما تصر على لفظة
(سويقة) للدلالة على الفوضى ..

ثم بدأت المذبحة .. لا أدري حظ تلاميذ المرحلة
الابتدائية اليوم ، لكن - فى ذلك الزمن - كان الجلد
أسلوبًا تربويًا شائعًا فى المدارس .. وقد تلقى (رامى)
عددًا من الجلادات على ظهره الصغير ، لكن أسوأ
ما فى الأمر هو أن هذا تم أمام (هشام) .. (هشام)
المتشفى الذى التمتعت عيناه وحشية وتلذذًا .. والذى
طبعًا لم يمسه سوء ..

لم يبك الصغير .. فيما بعد أجمع الجميع على أنه
لم يبك .. فقط كانت هناك تلك النظرة فى عينيه وهو
يرمق المعلمة بعد انتهاء العقاب .. نظرة طويلة
بلامعنى على الإطلاق ، أتبعها بنظرة مماثلة إلى
(هشام) البدين ..

وحين عاد إلى الدار أخبر (هناء) بالقصة كلها ،
فصمت على أن تواجه المعلمة وتلقنها درسًا

لا بأس به أبداً .. إن الغد سيشهد مواجهة ديناصورين
من ديناصورات ما قبل التاريخ .. صراع المردة ..

وبعد الانتهاء من موضوع المعلمة سيكون على
(هناء) أن تمزق (هشام) وأمه بأسناتها .. هذا لن
يجعل الغد شاقاً ، لكنه بالتأكيد يحتاج إلى الاستيقاظ
مبكراً ..

★ ★ ★

وفى الغد ذهبت (هناء) إلى المدرسة مع (رامى)
هذه المرة ، واتجهت إلى مكتب مشرف المدرسة
(الناظر) ، وهو شيخ يصر على أن هناك سبباً
واضحاً لتسمية الوزارة بـ (التربية) قبل (التعليم) ..
كان الجو فى المكتب متوتراً فوق العادة . وكان الرجل
يضع سماعة الهاتف ، بينما وقفت معلمة أو مديرة
والذهول على وجهيهما .. لا بد أن واحدة من هاتين
السفاحتين قد تسببت فى قتل طفل آخر لم يفعل شيئاً ،
أو فقات عينه ..

دخلت (هناء) قريبتى الباسلة المكتب ، وقالت
فى حزم أنها أم (رامى) وإن هناك كلمتين لابد لها
من أن تقولهما أمامه للمعلمة .. نظر لها المشرف
للحظة ثم نظر إلى المعلمتين نظرة ذات معنى ، وقال :

- « ثقى أنها لن تضايق ابنك ثانية يا سيدتى .. »

- « هذا جميل .. ولكن من يضمن لى ؟ »

تعبير غريب ارتسم على وجهه ، وهو يقول :

- « هذه المكالمة كانت من زوجها .. إنها لم تصح
من النوم قط .. إن جنازتها ستخرج بعد صلاة
الظهر .. »

وانفجرت معلمة فى البكاء لدى سماع هذه
الكلمات ..

ببلاهة وقفت (هناء) تنتظر إلى ما حولها ، وراح
فمها ينفتح ويغلق كما تفعل سمكة الزينة فى الحوض ..
غريب هذا .. يا لها من مصادفة ! وبالطبع تبخر حقدما

فى لحظة .. فهى كانت من النوع الرقيق غير الحقود
الذى لا يستطيع أن يحتفظ بكراهيته لخصم مات منذ
ساعتين ..

- « غ .. غريب هذا .. لم أكن أعرف .. »

قال وهو يشيح ببصره عنها وينهض من على
مكتبه :

- « طبعًا لم تكونى تعرفين .. لا أحد يعرف ..
والآن لو سمحت وأخذت ابنك معك إلى الدار .. لن
تكون هناك دراسة اليوم لأننا جميعًا سنذهب لحضور
الجنزة .. »

وقالت إحدى المعلمتين وهى ترمقها بكراهية
وتتهافت :

- « الكل كان يحبها ! رحمها الله .. »

شعرت (هناء) - ككل العصابيين - بتأنيب ضمير
لامبرر له كأنها بالفعل تسببت فى موت المرأة ،

وساعدت كلمات المعلمة التى تحمل معنى اللوم فى جعل حالتها النفسية تسوء ، فأخذت (رامى) معها وغادرت المكان .. ولم تستطع أن تحبس دموعها بدورها ..

أما (رامى) فلم يستوعب كدأب الأطفال إلا أن اليوم إجازة ، وأنه تخلص من المعلمة الشرسة التى كان - يرحمها الله - يكرها كالشيطان .. فلماذا تبكى أمه إذن مع أن الحياة صارت أجمل بكثير ؟

وفيما بعد عرفت الأم أن المعلمة لم تكن تشكو من شىء . لم تكن تعاني أى مرض .. كلنا فى الحياة سواء ، ولا يوجد قانون يمنع معلمة شابة سليمة الجسد من أن تبیت ليلتها فى القبر ..

قالت (هناء) بعد ما فرغت من قصتها :

- « هل لديك تفسير ؟ »

قلت فى تودة محاولاً التذكر :

- « إن عدد الأسباب التى تجعل شاباً سليم الجسد
يموت فجأة ليتحدى ذاكرتى .. إن المعجزة الحقيقية
هى أننا نظل أحياء ساعة أخرى .. »

ابتسمت (هناء) فى خبث وقالت :

- « وماذا عن موت صبرى مثل (هشام) ؟!!! »

★ ★ ★

٤ - شيء ما ..

(لا بد من شيء ما دائماً)

للمرة الأولى بدأت أهتم بالقصة .. الأطفال دائماً مهمون ، وكل مصور يحترم نفسه يعرف أنه إذا جمعت الصورة رجلاً وامرأة ، تظفر المرأة بالاهتمام كله .. ضع امرأة وطفلاً .. يظفر الطفل بالاهتمام كله .. سألتها في حيرة :

- « مات ؟ كيف ومتى ؟ »

قالت وقد بدأ العصاب يغزوها من جديد ، وراحت ترتجف بلا هوادة :

- « بعد يومين .. أى أن هذا كان منذ أسبوع .. لقد عاد (رامى) ليخبرنى فى سعادة أن (هشام) مات .. لمتة على ما يقول واتهمته بالكذب .. بعد هذا اتهمته بالقسوة لأن ما قاله صحيح .. »

- « لا عليك .. إن الأطفال ينظرون للموت نظرة غير نظرتنا .. إن الموت بالنسبة لهم (عدم وجود) لا أكثر .. وكم من أم متوفاة كانت ستموت مرتين ، لو رأت السرعة التي ينساها بها أطفالها .. كأنها ذهبت في مشوار إلى النسيان لا أكثر .. لكنك أم تفسرى لى وفاة الصبى .. »

- « أنت لا تعطينى فرصة لأنك تريد أن تذكر آراءك الحكيمة فى الحياة طيلة الوقت .. مات الصبى فى حادث .. كان يعبر الشارع بدراجته أمام تلك الشاحنة .. رحمه الله .. يبدو أنهم عانوا كثيراً فى جمع أجزائه .. »

تقلص حلقى لهول الفكرة ، حتى لو كان المتوفى وغداً شريراً .. إنه طفل برغم كل شيء .. قلت لها :

- « حسن .. هذه وفاة مبررة على الأقل .. »

- « لكن قاتون الصدفة .. ألا ترى أن هذا غريب ؟ »

- « غريب أو غير غريب .. لكنه حدث .. ومن الممكن أن يحدث .. فى إحدى مباريات (البيزبول) الأمريكية

طارت الكرة ، لتضرب يد مشاهد كان ينظف أنه يعود
ثقاب فى اللحظة ذاتها .. وكان أن خرق طبله أذنه ..
ماهى احتمالات حدوث شىء كهذا ؟ لماذا اختارته الكرة
بالذات بين عشرين ألف مشاهد ، ولماذا هذه اللحظة
بالذات ؟ لكن هذا ما حدث .. »

رفعت ثلاثة أصابع فى وجهى وتساءلت فى تحد :

- « ثلاثة فى أسبوع واحد ؟ »

- « تكلمنا عن اثنين لا أكثر .. »

قالت وهى مستمتعة بحيرتى الوليدة هذه :

- « الثالث هو الأستاذ (مجدى) .. حسبت هذا
مفهوماً .. »

★ ★ ★

الأستاذ (مجدى) هو مدرس الرياضيات فى تلك
المدرسة ، وبلغة المدارس الابتدائية نقول إنه مدرس
حساب .. وبالطبع كان (رامى) يكره الحساب ككل طفل

آخر .. وكان الأستاذ (مجدى) رجلاً ضخماً الجثة
كالقدر شرساً .. من ذلك الطراز الذى يتجمع اللعاب
عند طرفى فمه مما يجعل النظر إلى وجهه عملاً
بطوليّاً .. وكان يضع عوينات غليظة يستحيل معها
أن ترى عينيه ..

وفى ذلك اليوم بالذات أخرج الصبى إلى لوح الكتابة ،
وناوله قطعة الطباشير وطلب منه أن يحل مسألة كسور
معقدة على ما يبدو .. وقد وقف (رامى) المسكين
كأنه مومياء (حتب حرس) عاجزاً عن الكلام أو البدء
أو مجرد التفكير .. وهكذا أمسك الأستاذ (مجدى)
بالصبى من أذنه وراح يعتصرها ، وهو يوجه له
عبارات مهينة للغاية على- غرار :

- « ماذا تفعل فى البيت يا (أبوجهل) ؟ هل
تبيع الكرنب على قارعة شارعكم ؟ »

وكان اللعاب يتجمع أكثر فأكثر حتى صار النظر
إلى وجهه عذاباً .. ولم يصدق الصبى أن أذنه على
هذا القدر من المرونة التى تسمح لها بأن تدور حول
محورها ست مرات دون أن تقطع ..

وفى النهاية تلقى صفة على خده مع أمر مباشر
بأن يعود (خبيه الله) إلى مقعده .. لم يبك الصبى ..
كل من رأى المشهد قال إنه لم يبك .. فقط نظر
للمعلم نظرة طويلة صامتة ، ثم عاد إلى مقعده ..

يقول من رأوا المشهد كذلك إن المعلم - للمرة
الأولى - بدا مرتبكاً .. ارتج عليه الكلام ، وغزت
رجفة ما شفتيه .. هناك من زعموا أن عينيه جحظتا ،
لكنهم فى الغالب كاذبون .. إذ من يستطيع رؤية عيني
هذا الرجل خلف عويناته ؟

بعد هذا بيوم أصيب الأستاذ (مجدى) بنوبة قلبية
وهو فى غرفة المدرسين .. كان جالساً يقوم بتصحيح
بعض الكراسات ، والمدرسون واقفون يثرثرون ..
ثم .. بوم ! استداروا ليجدوا الرجل وقد انكفأ رأسه
على المنضدة وفقد النطق ..

وهنا تضرب (هناء) كفاً بكف ، وتقول فى لهجة
ذاهلة :

- « قل لى الآن بربك ما رأيك ؟ هل هذه مصادفات ؟ هل ابنى مبارك إلى هذا الحد ، وإلى درجة أن كل من يضايقه يموت ؟ »

قلت لها فى شىء من الحياء :

- « لن تسمعى كلامى عن الصدفة من جديد ؟ »

- « أية صدفة يا حبيبى ؟ هل ستتحدث من جديد عن الكرات التى تثقب آذان الناس ؟ »

- « لا .. لن أتحدث عن الكرات .. »

وعقدت كفى مفكراً بعض الوقت ، ثم سألتها سؤالاً أعرف إجابته حتماً :

- « وما هو دورى فى كل هذا ؟ »

- « قيل إنك تفهم فى هذه الأمور .. ثم إنك

قريبى .. »

فكرت حيناً .. ثم قلت لها :

- « سيكون علىّ أولاً أن أقابل الصبى .. ويحسن

ألا يتم هذا فى وجودك .. »

وفتحت مفكرتى .. إن الغد مناسب لأنه لا ارتباط لى
من أى نوع .. سأكون فى دارك صباحاً يا (هناء)
هاتم ..

★ ★ ★

فتحت لى الباب ، وكان واضحاً أن صيفها والصبى
قد بدأ .. لا أدرى إن كان الصبى قد أنهى امتحاناته بعد ،
لكن من الواضح أنه وأمه لم يذهبا للمدرسة اليوم ..
رحبت بى ، ثم أعلنت أنها ستغادر البيت بعض الوقت
للتسوق ، فهزرت رأسى نافياً .. إننى سأخذ الصبى
معى لنتحدث فى الخارج .. بدا عليها القلق لأنها لم
تعتقد ترك ابنها مع طبعاً خجلت أن تعتبرنى من
الغرباء لكن الرسالة وصلتنى واضحة ، فقلت لها فى
غيظ :

- « أنا قريبه يا (هناء) فكفى عن السخف ..
الخطر الوحيد عليه أن أموت فى أثناء قيادة السيارة .. »
- « هل .. هل هذا ممكن ؟ »

- « وارد جدًا لكنى لست من هذا الطراز .. »

وجاء الصبى وقد ارتدى ثياباً أنيقة واستحم كما هو واضح ، كى يكون أنيقاً جميلاً حين يقابل (عمو رفعت) .. صافحته وشعرت بالكثير من الشفقة عليه .. هذا البائس مرغم على أن تكون أمه (هناء) ، ومن المستحيل أن ينمو طفل أمه (هناء) ليعيش حياة صحية سليمة .. إن العصاب يورث كآى شىء آخر ..
واتجهنا إلى سيارتى العتيقة الواقفة أمام الفيلا ، فصاحت (هناء) فى زعر :

- « كن مهذباً مع (عمو) يا (رامى) .. كن حذراً فى القيادة يا دكتور (رفعت) »

والجزء الأخير هو المهم بالنسبة لها طبعاً ، فتجاهلت الرد عليها وأدرت المحرك .. وسرعان ما كنا نبتعد عن الفيلا ..

سألت (رامى) وأنا أفتح جهاز الراديو على (غنوة وحدوتة) ، التى أعترف بأننى أهيم بها حباً وأسمعها سرّاً تجنباً لسخرية الساخرين :

- « إلى أين تحب أن تذهب ؟ »

رفع كتفيه لأعلى بمعنى أنه لا يعرف ، وراح يرمق الطريق بعينه الصافية ، فقلت :

- « أنا سأقترح .. ثمة صديق لى ينتظرنا الآن ،
ويهمه سماع قصصك المسلية .. »

مط شفته السفلى بمعنى أن الأمور سواء ، فبدأت أقود السيارة نحو (جاردن سيتى) .. إن د. (مؤنس الشافعى) لديه فكرة لا بأس بها عن قدمى ، وهو ينتظرنى بالطبع ، لكنى اتفقت معه على موعد مفتوح من طراز (صباح الثلاثاء) و (مساء الاثنين) .. فأننا لم أكن واثقا من أن الصبى لين العريكة إلى هذا الحد ..

إن (مؤنس) صديق قديم لى .. ليس طبيباً بل هو خبير تربوى ، وحاصل على أكثر من دكتوراه فى علم نفس الأطفال .. وقد قضى فترة لا بأس بها فى الخارج ، ويبدو أنه ذهب إلى الولايات المتحدة حيث قابل أكبر خبراء سلوك الأطفال هناك ، وهو د. (سبوك)

الذى لا تعتبر الأم الأمريكية نفسها أنجبت إن لم تقرأ
كتبه .. باختصار جيد هؤلاء القوم تحويل ما كنا
نسميه بـ (قلة أدب العيال) و (جتها نيلة الى عايزة
خلف) إلى علم شديد التعقيد أقرب إلى الكهنوت ..
وأنا آخر واحد يمكن سؤاله عن نفسية طفل ، برغم
أننى أعتبر نفسى طفلاً سانجاً حتى هذه اللحظة ..
طفلاً مصاباً بتصلب الشرايين والبروستاتا وارتفاع
ضغط الدم ..

قابلنا (مؤنس) على باب منزله والغليون بين
شفتيه ، فصافح (رامى) فى حرارة وقال عبارات
من نوع (ياله من رجل صغير لطيف) إلى آخر هذا
الهراء .. ثم أمسك بيد الصغير واقتاده إلى الداخل ،
وهو يثرثر معه كأنما هما صديقان قديمان .. ومرت مدام
(شافعى) بى - وهى سوفيتية كما كانت الموضة
وقتها - فهزت رأسها محيبة ، ثم مرت بى كأتنى قطعة
أثاث وجدت هنا بالصدفة ..

جلست فى الردهة بالخارج ، وتركت (مؤنس)

والصبي يتساران فى غرفة مكتب الأول .. طبعًا
لاداعى لأن أسود نصف صفحة بوصف (مؤنس) على
سبيل التجويد الأدبى .. يمكننا فقط أن نقول إنه من
طراز (أشيب - متأنق - عوينات - بلا شارب) ..
هكذا يمكنك أن تتخيله معى ..

مرت ساعة وأنا أتسلى بتقليب بعض المجلات ،
وأأمل اللوحات السخيفة المعلقة على الجدران .. ثم
انفتح الباب وخرج (مؤنس) وحده ، مما أعطانى أملاً
لا بأس به أن يكون قد قُتل الصبى وأراحنى .. لكنه
جلس جوارى وأعاد حشو غليونه ، وقال بعد تفكير :

- « لا أرى مشكلة ما .. هذا طفل شديد الانطواء
والحساسية .. خيالى جداً .. وحب أمه الشديد له قد
جعله يشعر أن العالم الخارجى غابة .. »

- « لست بحاجة إلى خبير تربوى لأعرف هذا ..
وبالطبع ستقول لى إن الحل الوحيد له هو أن يختلط
بأترابه ويلتحق بناد ما .. »

- « أنت تتكلم بلسانى .. »

- « ولكن مشكلة الموتى .. الذين يضايقونه لا يرون

خيرًا .. و.... »

ابتسم فى تهكم وأشار بطرف الغليون إلى الحجرة
وقال :

- « هل نصدق هذا الهراء ونتخلص من قناعاتنا
العلمية ؟ ما هى قدرة هذا الصبى الضعيف على
إيذاء الناس ؟ »

- « هل يمكن للصدفة أن ؟ »

قال فى حكمة وهو ينفث المزيد من الدخان :

- « دعنى أحك لك قصة مسلية .. فى إحدى مباريات
(البيزبول) الأمريكية طارت الكرة ، لتضرب يد مشاهد
كان ينظف أذنه بعود ثقاب فى اللحظة ذاتها .. وكان أن
خرق طبله أذنه .. ما هى احتمالات حدوث شىء كهذا ؟
لماذا اختارته الكرة بالذات بين عشرين ألف مشاهد ؟
ولماذا هذه اللحظة بالذات ؟ لكن هذا ما حدث .. »

بدأ الشريان إياه ينبض فى صدغى منذراً بإصابتى
بالفالج من الغيظ ، وقلت :

- « أنا نفسى قلت هذا مراراً .. لكن الأمر يبدو
وكأنه تجاوز الحد .. »

ابتسم فى ثقة العلماء ، وقال :

- « (رفعت) .. ليس هناك شىء كالذى تتحدث
عنه .. لم يوجد ولن يوجد .. »

ساد الصمت برهة ، ثم سألته بصورة عابرة :

- « ماذا يفعل فى مكتبك ؟ »

- « يرسم .. لقد علمته كيف يستخدم ألوان الزيت
وكيف »

- « ألوان الزيت !!؟ »

وهرعت إلى المكتب لأجد أسوأ كوابيسى قد تحقق ..
الصبى كله قد دهن بالزيت الأزرق .. أما ثيابه الأبيضة
فلم تعد بها بقعة لم تأخذ لونا .. وكانت أصابعه فى
أسوأ حال ممكن .. ستقتلنى (هناك) .. حتماً ستقتلنى ..



وهرعت إلى المكتب لأجد أسوأ كوابيسي قد تحقق .. الصبي كله قد
دهن بالزيت الأزرق ..

قال (مؤنس) فى سرور :

- « إننى أرسـم من حين لآخر ، ولدى حامل فى مكتبى أثبت عليه قطع القماش .. وقد سرنى أن الصبى تحمس للتجربة .. إن لديه حاسة فنية لا بأس بها .. كما ترى من المفيد أن تترك الصبى يرسم ما يخطر له .. إن هذا يحـرر اللـوعى ! »

لم أجد ما أقول إلا أن آخذ الصبى فى الحال ، وأعود به إلى أمه .. بالطبع لن يكون اللقاء محبباً لكنى على الأقل قد عرفت ما جئت من أجله .. لا يوجد شىء غير طبيعى فى الصبى ، وعلينا أن نقبل قانون الصدفة بإعتباره هو التفسير الوحيد لما حدث ..

★ ★ ★

٥ - ضيف غير مدعو ..

كان هذا فى الرابعة من صباح اليوم ذاته ، وكنت قد دخلت الفراش مبكرًا على غير عادتى ، حين دوى جرس الهاتف اللوح المزعج يقول إنه ليس من حقى أن أنام فى هذا العالم .. خرجت عارى القدمين إلى الصالة ورفعت السماعة فجاءنى صوت (هناء) تعوى كالذئاب :

- « (رفعت) .. آيببى ! هذه المرة هو قوى حقًا .. النوبة من جدب آى ! »

ثم سقطت السماعة من يدها على ما يبدو .. ونظرت إلى الساعة على الجدار .. الرابعة صباحًا .. هذا حكم لا يمكن استئنافه إذن .. على أن أذهب إليها فهي وحيدة ومريضة وقريبتي .. يعنى لا مفر لى .. وضعت براد الشاى على الموقد لأظفر بكوب ثقيل

ينعش حواسى ، ثم رحت أبحث عن القميص .. عن الجوربين .. عن الحذاء .. عن البنلة .. عن العوينات .. وحين انتهيت كان الشاى قد غلى فشربت ثلاث أو أربع جرعات ، ثم هرعت إلى سيارتى النائمة فى الظلام كوحش .. بصعوبة قبل محركها أن يستجيب .. هتئى المحركات ترفض هذه المعاملة ، لكنها تستطيع الإصرار على الرفض بينما لا أستطيع أنا .. وأخيراً تمضى سيارتى عبر شوارع المدينة الخالية النائمة ..

وصلت إلى الفيلا ففتح لى (بسطويسى) العجوز الباب ، وكان خائفاً مذعوراً هذه المرة مما يؤكد أن الأمور سيئة حقاً ..

وفى الداخل وجدتها وسط أكبر ملحمة من الفوضى رأيتها فى حياتى .. أكواب مهشمة ومفارش تم جذبها من فوق الموائد بما عليها من مزهريات .. وآثار قىء بلغ من عنفه أن اختلط بالدم .. ووسط هذه الملحمة كانت (هناء) .. على الأرض ملتوية حول نفسها تمضغ السجادة وتئن ..

إنها المرارة هذه المرة لا شك فى هذا ، وضلوعها
من الجهة اليمنى لا تحتل أنفاسى ، فما بالك بلمسة
يدى ؟ وعددت نبضها وقست حرارتها بظهر يدى ..
لم تكن محمومة .. إن النوبة حادة شديدة الوطء ،
وأعتقد أن ما معنى من عقاقير فى الحقيقة لن يفعل
شيئاً .. لهذا نهضت بحثاً عن الهاتف الذى كانت
سماعته متدلية كلسان مشنوق ، وطلبت الإسعاف ..

صاحت (هناء) فى جزع :

- « لا .. لا .. لا إسعاف ! لن أترك البيت »

- « لست أنت صاحبة القرار مع شديد احترامى

لعقلك الراجح .. »

- « ولكن (رامى) !! »

نظرت إلى الصبى الذى كنت قد نسيت وجوده
تماماً .. كان يقف هناك فى الركن ودمعة متجمدة فى
عينيه .. مشهد كفييل بأن يرق له قلب (كاليجولا)
نفسه ، ولا عجب .. فأمه هى السند الوحيد له فى عالم

يجهله .. وها هي ذى أمه على الأرض تتلوى ..
سأخذه معنا إلى المستشفى ثم بعد هذا .. يعلم الله
وحده ما بعد هذا ..

قلت لها فى ضيق :

- « سأعنى به .. لا عليك .. »

وبعد وقت وجيز بما يناسب خطورة الموقف - حوالى
ساعة وأربعين دقيقة - وصلت سيارة الإسعاف ،
وأضواؤها وسريرتها تمزق أرجاء الليل الصامت .. كان
على أن آخذ الصبى معى فى سيارتى لاحقاً بالسيارة
المتجهة إلى المستشفى .. وشعرت بشيء من شجن
على (هناء) للراقدة وحدها بالداخل .. لا بد من امرأة ما
- أم أو أخت أو جارة أو صديقة - تكون معها فى
هذا الموقف السخيف .. لكن من أين يجيئون بالنساء
حين تحتاج إلى واحدة ؟

وفى المستشفى عرفت أننى أحمق ، وأن التشخيص
الصحيح هو ثقب فى قرحة الاثنى عشر .. وهو على كل

حال يسبب آلاماً قد تخدع الكثيرين .. لا بد أنها عانت
شهوراً طويلة من آلام القرحة البطيئة ، حتى تهاوى
السد وأعلنت القرحة عن نفسها بأكثر السبل توحشاً
ووقاحة .. أخبرنى بهذا أستاذ جراحة متضايق استدعوه
من داره فى هذه الساعة من الليل .. باختصار الحالة
مقلقة بحق ولا بد من البدء حالاً .. البدء فى ماذا ؟
جراحة استئصال طبعاً ..

وقضيت ما بقى من الليل ما بين الجلوس أمام غرفة
العمليات ، أو اصطحاب الصغير إلى كشك صغير مجاور
للمستشفى ، يظل ساهراً طيلة الليل .. ابتعت له بعض
الحلوى والعصير .. وفيما بعد جلست مع (هناء) فى
غبر الجراحة ، بينما كانت تفيق من أثر المخدر ، وتتن ..
طبعاً ستكون المفاجأة سارة حين تصحو لترى كل الخراطيم
التي تخرج وتدخل من وإلى جسدها وأنفها ..

وحين غمرت الشمس الكون ، وجدت أن على أن
أعود لدارى .. فقد أرهقنى السهر بحق .. تطوعت
قريبة إحدى المريضات بالعناية بـ (هناء) لأن هذه

الأمور مقدسة عند المصريين .. والشابة - يا كبدى -
ليس معها أحد .. وأمها - يا ضنائى - لا تعرف بما يدور
هنا .. كان هذا مناسباً جداً لى لأنى بصراحة مرتبك
ولا أعرف متى وكيف يحق لى الرحيل .. هل سأتبقى
هنا حتى تقوم الساعة ؟

وكان أول ما قالته (هناء) حين بدأت تفيق :

- « خذ (رامى) معك يا (رفعت) .. اعتن به
أرجوك .. »

★ ★ ★

وفى التاسعة صباحاً دخلت إلى دارى ومعى ضيف
غير مرغوب فيه على الإطلاق .. (رامى) الصغير
الذى أرهقه السهر ، ونام فى المستشفى عشرين مرة
على الأقل .. لكنه ذلك النوم الذى لا يمكن التعامل
معه باحترام ..

- « هل ستكون ماما بخير ؟ »

- « بالتأكيد .. ستكون على ما يرام .. »

وحمدت الله على أنه لم يملأ الدنيا صراخاً وعويلًا
لأن لدى مشكلة حقيقية مع صراخ الأطفال .. حمدت
الله كذلك على أنه يعرفني جيدًا فلم يصبه الهلع ..

أعدت له إفطاراً متواضعاً مع كوب كبير من اللبن ،
ثم قمت بتمهيد فراشى كيفما اتفق ، وأسدت الستائر ،
ودعوته إلى النوم .. بالطبع لم تكن عندى ثياب
أطفال لذا جعلته ينام بثيابه وقررت أن أبتاع له منامة
عندما أصحو من النوم .. هذا لو صحوت طبعاً ..

لو أتنى مت الآن لكان هذا أكبر مقلب يمكن عمله
فى هذا الصغير .. يجب ألا أكون بهذه القسوة ..

اندسست فى الفراش بدورى بعد ما فرغت من كل
طقوس الصباح ، وعقدت ذراعى على صدرى وتناعبت
كفرس النهر ، ثم سألته والنوم يداعب أجفائى :

- « هل الاتصال بأبيك سهل ؟ »

- « لا .. هو الذى يتصل بنا .. »

معنى هذا أتنى فى مأزق يصعب الخلاص منه حقاً ..
كابوس لن أصحو منه أبداً ..

★ ★ ★

وعند الظهر صحت ، فجلست القرفصاء فى الفراش
ورحت أتأمل وجه الصبى النائم .. حقاً ثمة مشكلة فى
عضلات جفنيه كما قالت (هناء) فهما لا ينغلقان
بإحكام أبداً .. كان يحلم الآن ماراً بطور (حركة العين
السريعة) أو REM كما يسمونه ، وكنت أرى بوضوح
قرنيتيه تتحركان محمومتين ذات اليمين واليسار ، مع
تلك العادة الكريهة لشخص عصبى مثلى : الصرير على
الأسنان .. دززيك .. دززيك ! صوت يحطم الأعصاب
بحق ..

شعور غامض بالتقزز والنفور غمرنى وأنا أرمقه ،
وما كنت أحسب أن مشهد طفل نائم يمكن أن يسببه ،
لكن لم تكن لى حيلة فيه .. سأكون مسروراً حين
يعود هذا الصبى لأمه ..

أما الآن فعلى أن أجد فى ثلاثتى ما يصلح لغداء
طفل فى مرحلة نمو ..

أعدت له بعض الدجاج المقلّى مع المكرونة وهزرتة
كى يصحو .. كان أول ما قال لى وهو يفرك عينيه :
- « متى ستعود ماما ؟ »

- « ثق أنني أكثر منك لهفة إلى عودتها لكن من الجلى أن غيابها قد يطول بعض الشيء .. »

قال ملحاً بلهجة طفل يوشك على الانفجار باكية :

- « لكنى أريد ماما .. »

حاولت أن ألعب دور المربي الفاضل ، فقلت له
باسماً :

- « غسيل وجهه .. مشط فى شعرك .. لقمتان ..
ثم نذهب لنراها فى المستشفى .. »

هز رأسه فى غير اقتناع ، ولحق بى إلى الحمام ..
المشكلة هى أنه يحتاج إلى أشياء كثيرة .. مثلاً كنت
أنا فى طفولتى أكثر حيطة من أن أدخل الصابون إلى عيني
عند غسيل الوجه ، والسبب هو أنني لم أكن أغسله
بالصابون أبداً (هذا لو كان ثمة صابونة واحدة فى كفر
بدر فى الثلاثينات) .. أما هذا الغلام فكان لا بد من أن
يملاً عينيه بالصابون ويتلوى كمن يحترق فى سقر ..
سنه كبيرة نسبياً لكن نموه السلوكى متدن إلى حد كبير ..

وعلى مائدة الطعام أعلن بلا استئذان أنه غير راغب
فى التهام الدجاج .. فقلت ملاطفاً :

- « لا بد من أن تأكله .. إن الصغار لا ينمون من
دون لحم .. »

قال فى غير اكترات وبشئء من قلة الأدب :
- « لا يهمنى ما تراه أنت .. أنا لن آكله فهو
مقرف .. »

مقرف ؟ لا أحب من يصف الطعام بأنه مقرف حتى
لو كان طفلاً فى التاسعة .. صحت فيه مغاظاً :
- « قلت لك إنك ستأكله .. ومعنى هذا أنك ستأكله
لا أكثر ولا أقل .. »

- « وأنا لن أفعل .. »

- « بل ستفعل أيها الغلام المدلل .. »

وهنا نظر لى فى كراهية ..

لست عصبياً بصفة خاصة ، لكن هذه النظرة فى

عينيه الواسعتين زلزلت أعماقي زلزلة شديدة ..
شعور أقرب ما يكون إلى الخوف جعل قلبي ينتفض فى
ضلوعى ، وللحظة ساد الصمت .. ثم بصوت واهن
قلت له :

- « إذن كل ما تريد ودعنا نفرغ من هذا كله .. »

ونهضت إلى الحمام فغسلت وجهى .. وبحثت عن
قرص النيتروجلسرين فدسسته تحت لساتى .. هل أنا
واهـم أم أن لهذا الصبى البريء عينين شيطانيتين
قادرتين على إثارة الذعر فى قلب رجل فى سنـى ؟

★ ★ ★

- « إن صبية هذه الأيام شياطين لابد من حديد
للتعامل معهم .. »

- « ماعدا البك الصغير طبعاً .. »

★ ★ ★

بعد العودة من المستشفى عرجت بالصبى على بعض
محلات وسط البلد ، فابتعت له منامتين وبعض الغيارات

و..... إننى فى مأزق حقيقى .. يجب أن أجد امرأة ما
تعنى به .. من الصير أن أصحابه إلى قريتى .. صحيح
أنها قريته كذلك لكنه لم يرها قط .. ولن يتأقلم مع أحد
هناك .. (كاميليا) ؟ بالطبع لا .. ليس من السهل أن
أقنعها بالعناية بطفل آخر ما عداى .. لقد عانت الكثير
معى فى قصة الساحر الرومانى إياها ..

عدت إلى دارى وفتحت له جهاز التلفزيون الذى
لا أفتحه إلا كل 38 سنة ، واخترت له مسلسلاً أجنبياً مفرعاً
لأن هذا هو ذوق الأطفال هذه الأيام .. هنا دق جرس
الهاتف وكان المتكلم هو د. (مؤنس) .. هل نسيتم من
هو بهذه السرعة ، وبرغم أنه الوجه الوحيد الجديد فى
الصفحات الماضية ؟ إنه ذلك الخبير التربوى الذى ..

- « أهلاً يا (مؤنس) .. أرجو ألا تطالبنى بثمان
التحليل الذى أجرىته للصبي .. »

قال بلهجة صارمة وإن كانت مهذبة متحفظة :

- « دعنا من المزاح وحياتك .. هل تذكر تلك
الجلسة جيداً ؟ »

- « نعم .. الصبي عندى هنا .. إن أمه فى
المستشفى لأن »

- « جميل .. جميل .. هاته وتعال حالياً لأن هناك
ما يجب أن تراه .. »

ووضع سماعة الهاتف دون كلمة أخرى ..

★ ★ ★

٦ - هذا الشيء يجب أن يدمر !

لم يخف (مؤنس) تحفظه وتشككه وهو يقتادنا إلى داخل شقته .. كانت الشمس تميل إلى المغيب ، ورائحة جو الصيف القادم تنذر بالسيطرة على كل شيء بعد أسابيع .. ستكون هناك عدة أيام خماسينية شديدة الوطء ، مع رائحة حبوب اللقاح القادمة من الحقول المحروثة .. رائحة (المراهقة) المعهودة ، ثم تبدأ روائح الصيف .. قال للصبي وهو يشير إلى غرفة المكتب المفتوحة :

- « ادخل يا (رامى) وارسم كما تشاء .. إن علبة الألوان والفرشاة هناك .. لكن لا تلوث كل شيء من حولك .. »

صحت أنا محتجًا :

- « لحظة .. أنا المسئول عنه الآن ، ولو دهن نفسه بالأصباغ كما فى المرة السابقة .. »

نظر لى نظرة ذات معنى ثم قال للصبي :

- « ادخل يا (رامى) .. »

بعد ما توارى الصغير - وهى كما فهمنا جميعاً مجرد وسيلة للخلاص منه (توسيعاً) كما يقولون - قلت لـ (مؤنس) وأنا أجذب مقعداً فى الصلاة لأجلس عليه :

- « ما الموضوع بالضبط ؟ »

ودارت عيناي فى الصلاة أتأملها .. لقد صرت أحفظها تماماً بعدما جلست فيها وحدى فى المرة السابقة ، لكنى هذه المرة رأيت لوحتين لا بأس بهما تمثلان طراز رسم معيناً من القرون الوسطى ، وقد وضعنا فوق المدفأة ..

جذب مقعداً آخر ليجلس جوارى إلى منضدة هناك ، وقال وهو يعيد إشعال غليونيه :

- « ما كنت لألاحظ شيئاً من هذا ، وكنت لأترك الأمر

يمر دون تطبيق لولا أن (إيكاترينا) لاحظت هذا .. »

هنا فوجئت بزوجته السوفيتية (إيكاترينا الشافعى)
- كما صار اسمها بعد الزواج - تلحق بمجلسنا هذا ،
ولم ترهق نفسها بتبادل التحيات .. كانت من النسوة
اللائى لا تفارق لفافة التبغ شفاههن ، وقد اكتسب صوتها
حشرة وخشونة محببتين كأنه صوت (عباس فارس)
رحمه الله .. قالت لى بعربية رديئة جدًا مما يستعملها
عادة المترجمون السوفييت خريجو معهد اللغات الشرقية ..
عربية من طراز (أيها السيّدون والسيداتون) :

- « هل تريد شرابًا ؟ لا ؟ ليكن .. كنت أنظف الحجرة
حين رأيت الرسوم التى رسمها الصبى .. لم أصدق
عينى .. أعدت النظر مرارًا ثم ناديت (مؤنس)
كى يرى ما أراه .. لم تكن هناك هلاوس ما .. »

قلت لها فى غباء عذب :

- « تعنين أنه موهوب ؟ إن هذا »

هزت أناملها الممسكة بلفافة التبغ ، وتبادلت
كلمات روسية مع زوجها .. لا بد أنها تسأله عن
معنى (موهوب) .. ثم قالت فى دهشة :

- « موهوب بمعنى Talented ؟ لا .. لا .. أريد منك

أن ترى الرسم .. »

ونهضت فى ثقة ، وأشارت إلى اللوحتين اللتين
رأيتهما فوق حاجز المدفأة حين دخلت ..

هنا فقط فهمت لماذا لم تكن اللوحتان ذاتى إطار ..
لقد تم رسمهما على القماش ، وتم شد القماش على
عجل فوق إطار خشبى من أربعة أضلع ..

تأملت اللوحتين فى زعر ، وشعرت بالجلد يزداد
خشونة فوق ذراعى .. قشعريرة باردة تزحف على
عمودى الفقرى .. هذا ليس مزاحاً ..

- « هل تعنين أنه ؟ »

- « نعم .. هو فعل هذا .. »

- « أمس بينما (مؤنس) معه فى المكتب ؟ »

- « (مؤنس) لم يلق نظرة على اللوحتين .. لقد
كان يراقب أسلوب الصبى لا أكثر .. وبالطبع كان ينظر
إلى القماش باستخفاف لا شك فيه .. لكنى أمس دخلت
الغرفة ورأيت هذا الهول .. »

★ ★ ★

حقاً هو الهول ذاته !

كانت خلفية اللوحتين ذات طابع أحمر مخضر غريب ،
وفوقها رسم الصبى وجوه شياطين .. تتلوى .. تصرخ ..
تعوى .. كأنما تتلظى فى جهنم .. الطابع القوطى العتيق
للوحات لا تخطئه العين الخبيرة ولا غير الخبيرة ، جو
كابوسى مريع يجعل روحك ترجف بين الضلوع ، وفيه
تلك الكآبة الجهيمة التى يعرفها من رأوا لوحات الإسباني
(إلجريكو) .. حيث السماء مكفهرة منذرة بالويل
والطاعون والعواصف ، بينما على الأرض أرواح
معذبة ترنو للسماء بحثاً عن مفر ..

كان هناك مقلب يتسلل من جانب الصورة ، وله
طابع حديث يختلف عن باقى تفاصيل اللوحة ، وتكاد
تشعر بأنه يمزق قماش اللوحة ذاتها إلى أشلاء ..
أما أسفلها فكان رمز غريب لا يمكن تقليده بحروف
المطبوعة ، لكنه إلى حد ما خليط من هذه العلامة
(*) وهذه العلامة (#) ..

ما يجب أن نذكره هنا أن هذه الرسوم رسمها صبى

فى التاسعة من عمره ، وهو يمىك الفرشة لأول مرة
فى حىاته ، وفى دقائق وجيزة بينما كان فى مكتب
(مؤنس) ..

ما معنى هذا ؟ كان هذا ببساطة ضد الطبيعة ..
وكل ما هو ضد الطبيعة - حتى لو كان طبيعياً فى
حد ذاته - مخيف إلى درجة لا توصف ..

★ ★ ★

- « المهرج مضحك فى حلبة السيرك .. لكن
ما شعورك لو فتحت بابك بعد منتصف الليل لتجد نفس
المهرج واقفاً فى ضوء القمر ؟ »

١٠ تشانى الأكبر - ممثل

★ ★ ★

فرغت من خواطرى السوداء فنظرت إلى الزوجة
التي كان صدرها يعلو ويهبط انفعالاً ، وسألت :

- « ما رأيك فى هذا كله ؟ »

نفثت الدخان وقالت فى ثقة :

- « هذه الرسوم أعرفها جيداً .. إنها جاءت من حيث
جئت .. هذه الرسوم بيزنطية الطابع موجودة فى بعض
الكنائس الروسية من عهد (بطرس الأكبر) .. وهى
تنويع على .. على الشياطين كما تخيلها الرسام .. »
- « أعوذ بالله ! »

واستدرت إلى (مؤنس) الذى وقف صامتاً كناطور
الحقل ، وسألته :

- « وما رأيك التربوى فى هذا كله ؟ »

هز رأسه كما يهز العلماء الذين لا يعرفون رأسهم ،
وقال :

- « لا أعرف يا (رفعت) .. لا أعرف .. هذا موقف
غريب يصعب أن أجد له مثيلاً فى قراءاتى .. »

- « طفل يرسم بسرعة البرق رسوماً من عهد
(بطرس الأكبر) .. وهذا الموضوع الكريه بالذات .. »

(مؤنس) .. لا تحاول إقناعى بأن هذا الطفل غير
ممسوس ! »

- « لا أؤمن بهذه الأمور يا (رفعت) .. لا بد من
تفسير علمى منطقى لكل هذا .. »

هنا تدخلت الزوجة فى الحوار وقالت :

- « د. (رفعت) .. هذا الطفل ممسوس فعلاً ،
ويجب أن يُدَمَّر ! »

قالتها فى بساطة كأنها تنصحنى بارتداء ثياب ثقيلة
لأن الليل بارد .. فقلت مغتاظاً :

- « يا سلام ! بهذه البساطة ؟ أشتري إصبعين من
الديناميت وأدسهما فى فمه وأشعل الفتيل ؟ »

- « هذا هو الحل الوحيد .. أنا كما تطم ماركسية ،
ولا أؤمن بأى شىء غير مادى لكنى أعرف كذلك متى
أحنى رأسى للمنطق وأسلم بوجود شىء لا يمكن
تفسيره .. »

ورفعت إصبعها فى الهواء وكررت من جديد :

- « هذا الشيء يجب أن يُدمَّر ! »

- « لقد انتهيت من الرسم يا أونكل ! »

كان هذا هو (رامى) طبعًا ، وقد جاء فى أثناء
المحادثة دون أن نشعر به .. وأجفلنا جميعًا لرؤيته ،
لكننا وقد رأينا وجهه المحبب الوديع ، وحمرة الانهماك
على خديه ، والأصباغ الى تلوث يديه وأنفه ؛ شعرنا
للحظة بأننا سخفاء أكثر من اللازم .. مجرد صبى
صغير أمه مريضة .. لا أكثر ولا أقل ..

قلت له وأنا أربت على كتفه :

- « تعال سلم على طائط (إيكاترينا) زوجة دكتور
(مؤنس) .. »

صافها فى حياء وهو يرمقها بنظرة ثابتة ، فهزت
رأسها له وقالت شيئًا عن موعد العشاء .. قال لى
(مؤنس) فى حماس عربى :

- « فلنتناول العشاء معًا .. »

هنا قالت الزوجة في كبرياء وهي تطفئ لفافة
تبغها :

- « لا .. لا يمكن .. لم يكن هناك موعد مسبق .. »

هز (مؤنس) رأسه مستسلمًا محرجًا ، وأوصلنا إلى
الباب ، وهناك همس وقد صار بعيدًا عن مسمع زوجته :

- « معذرة يا (رفعت) .. أنت تعرف مشكلة
الـ »

- « الزوجات الأجنبية اللاتي لا يفهمن عاداتنا
نحن العرب .. نعم .. نعم .. أفهم هذا .. إنهن لن
يفهمن أبدًا كيف يدعو الزوج العربى صديقًا له إلى
الغداء دون مكالمة هاتفية مسبقة أو موعد مسبق ..
لا عليك يا صديقى .. »

وابتسمت فى سرى .. لو أننى تزوجت (ماجى) لتكرر
هذا السيناريو فى البداية .. لكن (ماجى) ابنة بلد

بطبيعتها ، وتعرف كيف تكيف عاداتها حسب زوجها
وبلده ..

قال لى (مؤنس) همسًا كى لا يسمعنا الغلام هذه
المرة :

- « هذا الصبى مشكلة حقيقية ، وتربيته أبعد
ما تكون عن أن تكون قويمة .. أقترح التخلص منه
فى أقرب فرصة .. ليس بالدينامت كما تقترح ، ولكن
بإعادته لأبويه فورًا .. »

قلت وأنا أنظر إلى الصبى :

- « المشكلة هى أنه قريبى .. والمشكلة الأخرى
أنه لا مكان يذهب إليه سوى فى الآونة الحالية .. »

- « إذن كن على اتصال دائم بى .. »

وهكذا عدت مع الصبى إلى دارى .. سيكون هناك
وقت كاف كى أسأله عن موهبة الرسم التى هبطت عليه
من السماء دون سابق إنذار .. وفى الطريق مررنا على

المستشفى لنرى ما حدث لـ (هناء) .. كانت تتحسن
لاريب فى هذا ، وقدرت فى سرور أنها لن تنتظر
الأسبوع بأكمله هنا .. قبلت صغيرها المخيف فى نهم ،
وسألته عما أكل فى الغداء .. كأننى يمكن أن أنسى
إطعامه لمجرد أننى أحب ذلك ، وطلبت منى أن أشتري
له شيكولاتة وأن أعنى به .. طلبت منى كذلك أن أمنحه
نزهة لا بأس بها لأنه لا يتنزه فى داره .. كأن الأخت
(هناء) تفترض أننى (والـت ديزنى) شخصياً .. وأننى
مكلف بتسليـة الصبية .. تركناها فيما بعد وعرجنا على
أحد المحال فى الطريق فابتعت بعض الشطائر والعصائر ..
من أين يشترون الديناميت حين يحتاجون إليه ؟

ثم زرنا إحدى دور السينما ، وكانت تعرض فيلمًا
أمريكيًا متجهماً شديد التعقيد والتحذلق يصعب فهمه
على أنا نفسى ، وناسبنى هذا على سبيل تعذيب
الصـبى .. لقد أرادت (هناء) أن أرفه عنه وهأنذا
قد فعلت ..

وفى المساء أدخلته إلى الفراش ، وقبلت جبينه على
سبيل الأبوة ، وإن كان الخوف يتلاعب فى أعماقى .. ثمة
سر مخيف يحيط بهذا الصبى ، وحتى أعرفه من حقى
التام أن أشعر بالتهيب وبعض الجزع .. لو أنك وجدت
على باب شفتك حشرة حمراء ذات رأسين ولها جناح
حرشفى وذيل مشقوق ، فإن الشعور الطبيعى هو التقرز
والفرع .. لا تقل لى إنك ستمسك بها وتدلها وتقبلها ،
لمجرد أنها حشرة مسالمة أخرى ..

جلست فى الصالة أستمتع بقصة (طارد الأرواح
الشريرة) تلك القصة الرهيبة للأديب اللبناى الأمريكى
الأشهر (ويليام بيتز بلاتى) ، والتي تحكى عن استحواذ
شيطاتى يقع على طفلة تعيش فى الأقاليم ، مما يؤدى
بها إلى أشياء غريبة بعض الشيء ، ليس الكلام
باللاتينية وانقلاب الوجه للخلف بأغربها ..

هنا دق جرس الهاتف ، وأنا لا أدري حال
الهاتف فى بيوتكم ، لكنه عندى لا يدق إلا حاملاً
مصيبة .. (هناء) .. هل ؟ هنا جاء صوت (مؤنس)
يقول وهو يشهق جزعا :

- « (رفعت) .. (إيكاترينا) ! »

قلت بأسلوبى السقيم المعتاد فى الدعاية :

- « هل توفأها الله ؟ »

اتفجر فى البكاء حتى أذابت الدموع لفظة نعم التى

قالها ؟

★ ★ ★

٧ - البحث عن دليل ..

بعدما انتهت إجراءات الدفن - وكان يدفنها فى مصر
لأنه لا أقارب أحياء لها فى الاتحاد السوفييتى - جرأت
على توجيه السؤال الوحيد الممكن هنا : كيف حدث
هذا ؟

قال لى إن المرحومة دخلت الفراش مبكرًا ، ثم
- فى الحادية عشرة مساء - صحت من النوم وراحت
تشير لحلقها ، كان هناك غصة تخنقها .. راحت
تتكلم كلامًا مختلطًا بالروسية ثم اكتسب وجهها اللون
الأزرق الجميل ، وغابت عن الوجود ..

ونظر إلى (رامى) الذى كان يلعب بجوارنا
- ما كان لدى مكان أرسله إليه فى هذه الظروف -
وكنتم بالطبع عشرات العبارات التى يريد قولها .. كنتم
لأنه رجل عقلانى مثقف .. رجل لا يحق له أن يتهم

الغلام بأنه شؤم .. لا يحق له أن يقول إن نظرة الصبى
للكارهة إلى المرأة ، حين سمعها تتلقش فكرة تدميرها ،
هى السبب .. لا يحق له أن يطلب منى التخلص من
الصبى .. لهذا كله ابتلع تعليقاته وصمت ، لكنه كان
يتحرق شوقاً للكلام ..

كان آخر ما قاله لى وأنا أهم بالرحيل مع الغلام هو :
- « تخلص منه فى أقرب فرصة .. إنه يبعث فى
نفسى ما تبعثه سحلية تسللت إلى ياقة قميصى .. »

★ ★ ★

- « إن صببية هذه الأيام شياطين لابد من يد من
حديد للتعامل معهم .. »

- « ما عدا البك الصغير طبعاً .. »

★ ★ ★

وفى المنزل كان الليل قد خيم ، حين جلست مع
(رامى) نشاهد التلفزيون .. بعجالة ألق كان هو

يشاهده بينما كنت أنا أشاهد الصبى .. وذلك بنظرات
مختلصة من فوق كتاب (طارد الأرواح الشريرة) ..
طفل برىء وحيد تتهدل خصلة من الشعر الأسود
الفاحم على عينه اليسرى ، ويكرع بالضحك ويلكم
الأريكة من فرط الانفعال ، بينما (إسماعيل ياسين)
على الشاشة يمت شفته السفلى العملاقة ، ويقول
أشياء مضحكة ..

يصعب على أن أفترض أن سرّاً مخيفاً يتوارى وراء
هذه الملامح الملائكية .. ملامح الطفل لا (إسماعيل
ياسين) طبعاً ..

ورفعت عيني إلى سقف الصالة فرأيت البرص ..
البرص .. صديقى العزيز الذى يجىء من الشرفة
المفتوحة فى ليالى الصيف ، فلا يفعل شيئاً سوى أن
يبقى هناك ساعات طويلة ، ثم يرحل يائساً .. لقد أدت
ساعته البيولوجية عملها جيداً وأخبرته أن الصيف على
الأبواب .. وفى الآن ذاته تعمل ساعات كائنات عديدة ..
وتتهدت وأنا أفكر فى أسرار الكون المستغلقة .. فى

مكان ما توجد الإجابة عن أسئلة عديدة ، مثل أين تذهب النجوم الهاوية ، ولماذا تنتحر الحيتان فى (أغسطس) ؟ وأين تذهب كل الأبراص فى الشتاء ؟ ولماذا مازال قلبى الواهن يخفق بالحب للكون ؟

هنا رفع (رامى) رأسه إلى السقف فراه .. وقف على الأريكة ، وأطلق صرخة عاتية ووثب مترين إلى الوراء ..

- « لا تخف يا أحمق .. إنه لا يؤذى .. إنه مثلى ..
بشع المنظر طيب القلب .. »

لكن الصبى كان ينظر إلى السقف بتوحش .. كان القدماء يحسبون خطأ أن البرص يسبب مرض (البرص) - بفتح الباء والراء - وكانوا يخلطون بين البهاق والجذام ويعتقدون أن كليهما برص - بفتح الباء والراء - لكن الصبى لا يعرف شيئاً من هذا على كل حال .. ماذا أفعل ؟ بالطبع لست من الطراز الذى يبحث عن المكسرة ليهوى بها على السقف ، كى يسقط هذا الكائن التعس ، ثم مشمئزاً يلاحقه بالخف حتى يحيله إلى عجين .. لن أقتل كائنًا أعرف يقيناً أنه غير مؤذ ..



هنا رفع (رامى) رأسه إلى السقف فرآه .. وقف على الأريكة ،
وأطلق صرخة عاتية ووثب مترين إلى الوراء ..

لكن الأمر تم دون جهد منى ..

لقد سقط البرص من السقف فوق السجادة ..
وهرعت حاملاً الخف كي أنهى المهمة على سبيل
الرحمة .. وهنا وجدت أن المسكين قد مات .. هذا هو
أول برص فى التاريخ يسقط فيموت .. أو هو أول برص
فى التاريخ تقتله الصدمة العصبية أو نوبة قلبية ..

تخلصت من الجثة حزناً .. هو ذا صديق آخر لن
أراه بعد اليوم .

وعدت من الشرفة لأجد الصبى قد عاد يتابع فليم
(إسماعيل ياسين) فى نهم .. هذا صبى فعال .. صبى
قادر .. مجرد نظرة كراهية واحدة تنهى أية مشكلة ..

قلت له فى هم :

- « حان وقت النوم .. سأطفئ التلفزيون الآن ؟ »

صاح متوسلاً بتلك اللهجة الذليلة التى يجيدونها :

- « ولماذا ؟ »

- « لأن الأولاد المحترمين لا يظنون ساهرين بعد العاشرة مساء .. أو هذا ما قيل لنا .. »

- « لكنى أريد المشاهدة .. »

- « وأنا أرفضها بحماس شديد .. »

كان يغلى غيظًا الآن ، وهذه المرة رفع نحوى عينيه .. كائنا مفعمتين بالكراهية والحد .. كراهية لم تبد فى عيني قاتل ينظر إلى جلاده قبل الإعدام .. وشعرت بالدم يتجمد فى عروقى ورغبة عارمة فى القىء .. هنا رفعت يدي لأوقفه حالاً ، وصحت :

- ليكن .. ليكن .. انتهِ من الفيلم إذا أردت ! «

بدت ابتسامة ودود على وجهه ، وعاد يتابع الفيلم .. وجلست أنا أرتجف ، وأحاول أن أدفن همومى فى الكتاب الذى أقرأه ..

لا أدري متى ولا كيف نام ، لكنه قطعها أخيراً فحملته إلى الفراش ، وغطيته بالملاءة ورحت أتأمل وجهه ، وفى ذهنى عشرات الأسئلة ..

★ ★ ★

ولماذا أفرض الآن أن الأمر خارق للطبيعة ؟ إجابة سهلة جداً .. لدينا ذلك الصبى (هشام) والمعلمة والأستاذ (مجدى) والزوجة السوفيتية والبرص البائس .. كل هذه ليست مصادفات .. إن قانون المصادفات نفسه ليعلن عن عجزه عن تفسير ما يحدث .. الرسوم البارعة التى رسمها صبى فى التاسعة .. لا تقل لى إن هذه موهبة مبكرة .. كلا يا صديقى .. قل هذا لأحمق غيرى ..

متى بدأت هذه التغيرات ؟ أو هذه الظاهرة ؟

هل ثمة حادثة مهمة وقعت للصبى ؟ طبعاً لم تكن حادثة الفيل التى اقترحها الصبى ذات أهمية ما بالنسبة لى .. إنها كذلك بالنسبة لأمه المذعورة دائماً ، والتى تؤرخ بالتأكيد كل جرح فى إصبعه وكل خدش .. لكن يمكن القول دون خطأ كبير إن هذه هى نقطة البداية ..

ماذا رآه الصبى هناك ؟ ما هى المعاملة أو التجربة

التي مر بها في اللحظات النادرة التي كان وحده فيها ؟
هذه هي نقطة البدء بالنسبة لى ..

★ ★ ★

فى الصباح أيقظته فانهال على بالركلات والسباب
- سباب الأطفال المهذبين طبعاً من طراز (رذل
ووحش) - لكنى أصررت على أن ينهض .. أريد أن
أطعمه وأذهب إلى العمل .. لدى عمل مهم اليوم ، وإن
كان على أن أصحابه معى طبعاً .. وهنا نهض من
الفراش وراح يرمقنى بأكثر نظرات الكراهية تجرداً
وقسوة ، وشعرت بالدم يتجمع فى رأسى فقلت له
وأنا أراجع للوراء :

- « ليكن .. واصل النوم .. أنا آسف .. »

وابتعدت وأنا أجاهد كى أسترد أنفاسى المبهورة ..
هل الوهم أم أن هذا الصبى حقاً قادر على ذلك ؟ الحقيقة
هى أنني لم أعد سيد دارى ، وصار هدفى الوحيد إرضاء
هذا الغلام .. هو من يملئ جدول أولوياته على ، وعلى

أن أقبل .. المشكلة هي أنني رأيته يغضب .. وغضبه
- والحق يقال - كريمة فعلاً ..

وهكذا واصل الوجع النوم حتى العاشرة صباحاً ،
وشربت أنا ثلاثة أقذاح من القهوة ، والتهمت أعصابي
على سبيل الإفطار ..

بعد ما انتهى من طقوس الصباح ، وفرغ من
إفطاره الدسم ، جلس أمامي منتظراً برنامج اليوم ،
فقلت له :

- « هل أنت معتاد الرسم ؟ »

- « أحياناً أرسم .. »

- « ولم تستعمل الزيت قط ؟ »

رفع كتفيه لأعلى بما معناه (لم أفعل) .. وهذه
الإيماءة هي البديل الحركي للفظة (تَو) التي تقولها
الفتيات المدلات المتدللات .. عدت أسأله :

- « كيف رسمت تلك الأشكال التي رسمتها عند

دكتور (مؤنس) ؟ »

- « لا أدري .. أحببت أن أرسم فرسمتها .. »

- « وهل تدرك معنى ما رسمت ؟ »

رفع كتفيه من جديد لأعلى أن لا .. كما توقعت
تماماً .. هذا الصبي لم يرسم ولكنه لعب دور فرشاة
الرسم ، ليد أخرى أكبر وأقدر منه .. من صاحب
هذه اليد ؟ وما حدود قدرته ؟ ولماذا الصبي بالذات ؟
نهضت إلى مائدة الطعام فقامت بجمع الأطباق ،
لكنى أخرجت منديلى وأمسكت به الكوب والملاعق ،
وألقيت بها فى كيس ورقى .. وقلت له وظهري
يدارى ما أفعل :

- « هل يمكننا أن نمر على دارك بحثاً عن بعض
الألعاب ؟ »

- « أية ألعاب ؟ »

- « أريد ألعاباً قديمة .. ألعاباً لم تمسحها من زمن .. »

- « ولماذا ؟ »

- « أحاول أن أسليك .. لا تكثر من الأسئلة وثق

بى .. »

وهكذا تروننى الآن أقف بسيارتى على مدخل الفيلا ..
يخرج عم (بسطويسى) العجوز يرمقنا فى غباء ..
إنه يعرفنى ويرى (رامى) معى فلا يعترض ، لكنى
أرتاب فى رد فعله لو اقتحم الفيلا مجموعة من
المثمنين يلبسون كنزات مخططة بالعرض ، ومعهم
طفاشات وحقائب معدة لملئها .. لن يفعل شيئاً أيضاً
وقتها ، وسيلقى السلام على الداخلين ثم يعود لشرب
سجائر اللف ..

- « كيف حال الهاتم يا (رامى) بك ؟ »

لم يرد (رامى) - وكل الصبية فى سنه لا يردون
على من يخاطبهم - بينما ألقى الرجل تحية شبه
عسكرية لى ، وتساءل عن سبب تشريفى هنا ، فقلت
بلهجة عملية وأنا أزيحه جانباً :

- « ثمة أشياء نسيناها هنا .. إننى أعنى به كما

تعلم .. »

وفى الفيلا الخاوية دخلنا غرفة الصغير - التى لم ينم فيها قط - وسألته بعينى عن بعض الألعاب الخاصة به .. كانت الأرض فوضى حقيقية من الشاحنات البلاستيكية والمسدسات المكسورة والسيارات التى تلف زنبركها ، لكنى كنت راغبًا فى لعبة قديمة .. أشار إلى (شوفينيرة) صغيرة فى الركن .. واتجه ليفتح درجها السفلى ويمد يده ليخرج لى ما تكس فيه من ألعاب .. كانت ألعابًا بدائية من طراز (الشخصيشة) و (النفير) .. الخ ، مما أكد لى أنه لم يمسه من زمن حقًا ..

صحت مذعورًا :

- « لا .. لا ! لا تلمس شيئًا ! سأفصل هذا بنفسى .. »

وأخرجت الكيس الورقى والمنديل ، ورحت أنقل بعض هذه الألعاب إلى داخله دون أن ألمسها .. لم يكن أطفال هذا الزمن بالوعى والذكاء اللذين يميزان

أطفال اليوم ، وأعتقد أن الصبي لم يفطن إلى مغزى
ما أقوم به .. فلما فرغت نهضت وأشرت له أن
يتبعنى ، فقد حان وقت الرحيل ..

وانطلقت بسيارتى العتيقة ، على حين وقف
الخفير على الباب يصيح :

- « أبلغ سلامى للهانم يا بك !! »

★ ★ ★

كان (رامى) يزرع الردهة أمام قسم الطب الشرعى
جينة وذهابا .. وهو يصدر أصوات محرك سيارة ، ثم
يوشك أن يرتطم بأحد المارة فيتوقف ويصدر صرير
فرملة سيارة من فمه « إى يى يى يى يى ! » ..
ووقفت فتاة تداعبه بعبارات من طراز : إن فراملك
فاسدة .. يجب أن نذهب إلى قسم الشرطة ..

وكان د. (مراد) مدرس الطب الشرعى الشاب جالسا
أمام المجهر .. إن د. (مراد) - كما لا بد أن الأذكىاء

قد فهموا - شاب يقوم بتدريس الطب الشرعى هنا ..
صديق عزيز هو .. ليس إلى حد تبادل الزيارات طبعاً ..

كان عاكفاً على دراسة البصمات الموجودة على الأشياء
التي جمعتها ، وقد تعلمت منه فى الساعة الماضية
كيف يرفعون البصمات باستخدام المسحوق والشريط
اللاصق ، وكيف يثبتونها على الشرائح ويفحصونها
بالعين المجردة أو تحت المجهر ..

قلت له وهو منهمك لا ينظر لى :

- « كما ترى .. هناك مجموعتان من البصمات ..
بصمات قديمة تعود لما قبل حادث الفيلا .. وبصمات
جديدة تعود لما بعد الحادث . بصمات قديمة لطفل وديع
اسمه (رامى) .. وبصمات حديثة لذلك الشيء الذى
بييت فى دارى .. لو تطابقت البصمات فمعنى هذا أن
الصبى هو الصبى ، وأن على أن أعرف سبب تبدل
شخصيته .. أما لو اختلفت البصمات فمعنى هذا أنه
ليس (رامى) .. هذا طفل آخر !! »

قال فى سخريه دون أن ينظر لى :

- « تتكلم عن هذه الترهات كأنها حقائق علمية .. »

- « لقد رأيت فى حياتى الكثير ، وصرت على استعداد
لتصديق كل شيء .. وعلى كل حال عليك أن تتحملنى
ما دمت صديقى .. »

بعد قليل رفع عينيه المنهكتين المحمرتين عن
المجهر ، وفركهما قليلاً ثم قال :

- « هل أنت متأكد من دقة أخذ هذه البصمات ؟ »

- « بالنسبة للبصمات على الألعاب ؛ ربما وجدت
بصمات أمه وأبيه .. لا أضمن هذا .. »

- « كل البصمات تخص أطفالاً .. لاشك فى هذا .. »

لكنى أتكلم عن البصمات على الكوب والملاعق .. »

- « ماذا بها ؟ »

قال وهو يشعل لفافة تبغ : «

- « لدى خمسة أنواع من البصمات .. بل إن كل
ملعقة وشوكة تحمل نوعاً مختلفاً منها .. وكلها على كل
حال لا تمت بصلة للبصمات الموجودة على الألعاب ! »
ونفث الدخان وأردف :

- « يخیل إلى أنك جئت بأدوات المائدة هذه من
روضة أطفال !! »

★ ★ ★

٨ - لا بد من العودة إلى هناك ..

تماسكت حتى لا أصاب بالفالج .. وشكرته على ما قام به من جهد ، ثم خرجت إلى الردهة أرمق هذا الشيء يلعب مع الطلبة المارين .. دنوت من النافذة ورحت أعب الهواء عبًا حتى لا أفقد الوعي .. هذا الشيء ليس شريرًا فحسب بل هو يعابثنى بقسوة .. بصمات الصبى تتغير من ثانية لأخرى بحيث يستحيل أن تعرف من هو بالضبط .. لا بد من نهاية لهذا العبث .. لا بد من مخرج ..

★ ★ ★

بعد يومين :

دخلت المطبخ لأعد الغداء ، بينما جلس (رامى) فى الصالة يتسلى بالرسم فى دفتر ابتعته له .. الفكرة هنا أئننى آمل أن أجد فى رسومه منفذاً يضىء لى طريقى ..

كنت أتوق إلى الخلاص منه ، صباح اليوم كانت الأمور
لا بأس بها أبداً فى المستشفى .. ويبدو أن (هناء)
يمكن أن تعود لدارها غداً أو بعد غد .. على أن
أتحمل الصبى بعض الوقت لاجل الوقت .. إنه مجرد
طفل وقريبى وابن قريبتى .. فلست فى حل من تدميره
أو خنقه بالوسادة .. سيكون تفسير هذا عسيراً بعض
الشيء أمام وكيل النيابة ثم أمام طبيب المصحة العقلية
بعدها ..

أدركت أن على أن أجد أحداً يتولى أمر هذا الشيء
الصغير .. ربما لو اتصلت بقريبتى (كفر بدر)
لاستطعت أن أحضر عمّة أو خالة مسنة تقبل العيش
فى الفيلا مع الصبى إلى أن تشفى (هناء) ..

وهنا توقفت .. هذه فكرة مختلة .. لم أعد متأكداً أن
هذا طفل أصلاً .. ربما كان مصير البائسة التى سأجلبها
للبناية به هو الموت .. والصبى فعال بما لا يقاس كما
رأينا .. لو كنا فى القرون الوسطى - ولحسن حظّه
أن هذا غير صحيح - لاقتادوه بحبل من ليف فى عنقه

إلى أمام الأبرشية وأحرقوه تطهيراً لجسده .. إنه
متمرد تربوياً ولن يطول الوقت حتى يختلف مع
البائسة ، عندها ..

وخرجت إلى المكتب لأجلب بعض الزيت .. تسألنى
لماذا أحتفظ بالزيت فى المكتب ، فأقول إن هذا ليس
موضوعنا الآن .. المهم أنى وجدت جدران الصالة كلها
متسخة وقد رسم عليها ذلك الرمز الغريب ، الذى هو
خليط من العلامة (*) والعلامة (#) .. لقد رسمه فى
كل مكان ثم عاد إلى الكراسة يرسم ببراعة تامة ..

- « ما هذا الذى فعلته ؟ هل جننت ؟ »

هنا نظر لى فى كراهية وضيق .. عندها تراجع
تماماً .. لا يجب إثارة حنق هذا الصغير .. لا يجب
أبداً .. إن من حقه التام أن يرسم كل ما يريد على
جدران بيتى ، والويل لى إن احتججت ..

دنوت منه لأسأله فى رفق ومداينة :

- « لماذا رسمت هذا الرسم بالذات ؟ »



لقد رسمه في كل مكان ثم عاد إلى الكراسة يرسم ببراءة تامة ..
- ما هذا الذي فعلته ؟ هل جننت ؟

رفع رأسه واستنشق كى لا يسقط المخاط من أنفه ..
وكل الأطفال تسيل أنوفهم عند الرسم على كل حال ..
قال لى :

- لا أدري .. أحببت أن أرسمه .. »

هل هى رسالة ؟ هل يحاول إبلاغى بشيء ما ؟
من يحاول ؟ هو أم من استحوذ عليه ؟ الحقيقة أننى
لا أعرف .. وليست لدى أدنى فكرة عن كيفية
التصرف ..

وفى المطبخ رحت أرمق السمكتين اللتين تسبحان فى
الزيت مع صوت القلى الرتيب .. تشششششش !!
ورحت أفكر .. سأرتب الأمر منطقياً كعادتى :

1 - بدأ كل شيء بعد دخول الغلام تلك الفيلا ..

2 - لم ندر ما حدث هناك سوى لقائه بذلك المتسول
كما يقول هو ، أو الغريب المخيف كما قال صديقه ..

3 - الصبى يرسم موضوعات غريبة .. يرسم
شياطين بيزنطية من روسيا القديمة ، فما معنى هذا ؟
هل أصل القصة من روسيا ؟

4 - الصبى يكرر هذا الرمز الغريب ، وهو لا يمت
لرمز سحرى معروف مثل النجمة الخماسية أو الصليب
المقلوب ..

5 - هل (رامى) هو (رامى) وقد اكتسب قوى
غامضة ، أم أن هذا طفل آخر ؟ لو كان هذا صحيحًا
فأين (رامى) الحقيقى ؟ إن لعبة البصمات هذه
جعلتنى أميل إلى الاحتمال الأخير ..

وبعد تقليب الاحتمالات فى ذهنى ، والسك فى
المقلاة ، كنت قد وصلت إلى قرارى الأخير . كل شىء يبدأ
وينتهى فى فيلا (أبو العلا) هذه .. عندها بدأ كل شىء .
وعندها ينتهى كل شىء .. لا بد من دخولها ومحاولة
الفهم .. لكنى بالتأكيد غير راغب فى دخولها مع الصبى ..

إذن ماذا أفعل ؟ كيف أتخلص منه مؤقتًا ؟

إن الحل سهل وقريب .. الساعة الآن الثالثة بعد
الظهر ، وهو موعد استيقاظ (عزت) من النوم ،
خاصة وهو لم يكن فى الإسكندرية أمس .. أنتم تذكرون

(عزت) وتعرفون أنه مصاب بداء عضال اسمه
(حب الإسكندرية) .. لو تكلم الكورنيش ؛ لوجد
عسراً بالغاً في تذكر آلاف المرات التي رأى فيها ذلك
الرجل النحيل القائم المدثر بثياب ثقيلة ، الذي
يمشى عليه بلا هدف وبلا نية استمتاع واضحة ..
كأنه منتحر يوشك على إغراق آلامه في الماء
المالح ..

وبسرعة انتشلت السمك وجلست أنهى وجبتى مع
الصغير ..

وقرعت باب (عزت) ففتح لى وهو يلوك
بعض الإفطار / الغدا .. فلما رآنى توجس
خيفة ..

قلت فى مرح وأنا أقدم له (رامى) :

- « مهمة عادية جداً .. طفل برىء سيعزل معك
حتى الثامنة مساء .. »

- « هذا .. هذا .. كل شيء طبيعي وصحى إذن ..
هل هو قريبك ؟ »

- « نعم .. »
وانتحيث به جانباً وهمست فى أذنه :

- « لا أريد أن أفزعك .. لكن من مصلحتك الخاصة
ألا تثير غضب هذا الصغير بأية صورة .. لو طلب منك
أن تقف على أنفك وتمضغ عصا مكنسة فافعل
ما يقول .. »

بدا عليه الرعب الممزوج بالغباء ، وتساعل :
- « حقاً ؟ لماذا ؟ »

- « لو قلت لك لرفضت أن تضيفه عندك .. وأنا
لست أحمق ! »

هنا ركل (رامى) ساقى وانفجر فى البكاء :

- « هل ستتركنى هنا مع هذا الرجل المخيف ؟
إنه كأشباح القصص .. »

- « بل هو لطيف جداً يا حبيبى .. إنه ألطف
إنسان عرفته .. هلم يا (عزت) .. أره كم أنك
رقيق .. »

ابتسم المسكين مكشراً عن أنيابه ، بينما الطعام
ما زال يملأ جانبى فمه ، ولم يكن التأثير النهائى
محبباً ..

- « قلت لك إنه مخيبييييييف ! لسوف أخبر
ماما بكل شىء ، وأقول لها إنك تخلصت منى .. »
كان الموقف خطراً لأن نظرة الكراهية تلمع فى
عينيه .. لهذا قررت أن أتلف أكثر .. قلت
لـ (عزت) فى مداهنة :

- « (عزت) .. أنت ستعلم (رامى) كيف
يصنع تمثالاً ، ولسوف تلعبان بالصلصال كثيراً
جداً جداً .. »

هنا فقط بدأ (عزت) يروق للطفل .. فله إمكانيات

أخرى غير كونه يثير الرعب فى القلوب .. ويبطء
تراخت كفه المتقاصّة على كفى ، وبدأ يدخل إلى داخل
الشقة ..

همس (عزت) وهو يمسك بذراعى :

- « ألن تقدم لى تفسيرات ما ؟ »

- « ربما فيما بعد .. »

- « ومتى ستعود ؟ »

- « لا أدرى .. لكن الموت ليس مدرجاً فى جدول

أعمالى اليوم .. »

وبعد ثوان كنت أستقل سيارتى خارجاً من زحام

القاهرة .. للمرة الأولى أنا وحيد منذ أيام بدت

كالدهر .. وقد صممت على أن أنعم بوحدى هذه قدر

الإمكان ..

★ ★ ★

- « إن صبية هذه الأيام شياطين لا بد من يد من حديد للتعامل معهم .. »

- « ما عدا البك الصغير طبعًا .. »

★ ★ ★

أولاً عرجت على فيلا (هنا) لألقى (بسطويسى) العجوز الجالس على الباب يدخل سجائر الف ، ويستمع إلى (محمد رشدي) بصوته اللامع البراق ينبعث من المذياع .. فلما عرفنى - بعد مشقة - نهض ولوح بالسيجارة وسألنى عن حال الست هانم والبك الصغير .. سألته عن الأب .. هل اتصل بعد ؟

- « لن نعرف يا دكتور .. إن الهاتف بالداخل وأنا لا أدخل الفيلا أبداً .. »

سألته بكثير من التدقيق عن الأيام التى تلت ذلك الحادث .. وأنا أسمىه حادثاً لأنه ليس لدى تفسير آخر للتحوّل الذى طرأ على الصغير بعدها .. لم يكن هناك

شئ غريب سوى .. سوى موت الكلب الذى كان يخيف
الصغير كثيرًا ، والذى كان يحرس فيلا مجاورة .. لقد
وجدوه فى عرض الطريق ميتًا بلا تفسير واضح ،
وقيل إن اللصوص قدموا له السم .. طبعًا كلنا يعرف
أن اللصوص أبرياء هذه المرة ..

ثانيًا حاولت أن أعرف منه المزيد عن فيلا
(أبو العلا) لكن الرجل كان يستعيز بالله من الشيطان
الرجيم ، ويرفض الحديث متبعًا تقاليد (التابو) المقدسة
لدى القبائل البدائية : ذكر اسم الروح الشريرة
يجعلها تأتي .. كان الرجل يعرف .. يعرف الكثير ..
وهذه نقطة مهمة يجب أن أتذكرها ... إنه بواب
يخالط البوابين المخضرمين هنا ، وبالطبع يسمع
ثرثرتهم ..

يجب أن أعرف ، ومن المؤسف أنه لا توجد
طريقة أخرى ..

★ ★ ★

وكانت الشمس توشك على الانحدار نحو الأفق الغربى
حينما وقفت أمام الفيلا .. حقاً لم تكن (هناء) تبالغ
حين وصفتها بأنها دغل ، ولم أبالغ أنا حين قلت
إننى لم أكن لأندesh لو برز رأس ديناصور من
بينها ليخور خواراً عميقاً يرج الشارع رجاً ..

أكره هذا الوقت بالذات كى أبدأ المغامرة .. كنت
فيما مضى أشاهد أفلام مصاصى دماء (هامر)
فتذهلنى السرعة الجهنمية التى تهوى فيها الشمس
غرباً فى تلك الأفلام .. إنهم يتجهون للقصر
ظهراً .. يدخلون القبو عصراً .. يفتحون التابوت
وقد غربت الشمس ، وبالتالي لا بد من أن يفتح
مصاص الدماء عينيه الدمويتين قبل أن يصل الود إلى
قلبه .. عندها ينهض ! ونهضته ليست بالضبط ذكرى
محببة !

لكن الفرصة لن تتكرر كثيراً .. إننى مسافر
بلا متاع .. خفيف كالسنونو من دون الصبى ..

وقفت أمام باب الفيلا للصدى الموارب ، ثم أزحته ..
كان ثقيلاً كما ينبغي أن يكون .. وكان له صرير كما
يجب أن يكون له .. وتذكرت شيئاً مماثلًا مع بيت
فى المنصورة ، لكنى وقتها لم أكن وحدى .. كان
معى أولاد خالى و ودخلت ..

★ ★ ★

٩ - عجوز وحيد يحاول أن ..

كلا .. لم تنفتح أبواب الجحيم ، ولم تعو الذئاب
أو ترتج الجلاميد فى الوديان القصية ..

لم يحدث شىء ذو بال .. كانت حديقة عادية جداً
لها كل مزايا وعيوب أية حديقة لم تلق عناية منذ
دهور .. كانت هناك زاحفة ما تصدر صوتاً غريباً
من بين الأحراش .. لا تنسوا أن هذه بداية الصيف
حين تقرر كل حشرة غريبة وكل زاحفة أنها حية ،
وأن عليها أن تتحرك وتتناسل ..

سحلية ركضت على حذائى وأنا أمشى بين الأعشاب
فأجفلت .. وثبت للوراء متراً ودعوت الله ألا تكون
الثعابين منتشرة هنا .. ما زالت الإضاءة جيدة لكن
هذا المكان سيصير كابوساً حقيقياً حين يجن الليل ..
لم يكن المبنى ظاهراً من هنا ، ولكنى أدركت يقيناً

أننى سأدخله ، وهذا هو أسوأ جزء فى الموضوع ..
مبنى متسخ مظلم تفعمه العناكب والوطايط ورائحة
العطن .. هذا عمل قدر بالتأكيد ، لكن لابد من أن
يقوم به أحق ما .. تفقدت السيارة الواقفة التى تعود
طبعاً إلى العصر الحجرى ، وكانت أبوابها مفتوحة ..
وبالداخل كانت أسرة من القطط البيضاء تلتهم شيئاً ما ..
قطط جائعة إلى حد أنها لم تلاحظ وجودى .. كان
تنجيد المقاعد ممزقاً مترباً ، ولم يبق شيء فى
تابلوه السيارة بالطبع ..

نهضت متثاقلاً ومشيت نحو البيت .. البيت الذى
شعرت كأننى ثابت وهو يقترب منى باستمرار .. أزيح
الغصون جانباً وأواصل المشى .. ومددت يدي لجيبى
وابتلعت بعض الأقراص من دواء القلب .. لا يجب أن
يخذلنى الآن .. إننى رأيت كل أنواع الأهوال فى حياتى
المباركة ، ولكن - الطريف - مازلت أقابل كلاً منها
كأنه شيء جديد تماماً ، وقلبى ذلك الطفل الأبله يأبى
أن يتعلم أو يتعود ..

سأرى الهول فى هذا البيت .. أشعر بذلك ..
أشمه ..

★ ★ ★

وكيف أعرف أن (عزت) فى هذه الأثناء جالس فى
شقيقته يعلم الصبى كيف يشكل بعض الصلصال ؟ لقد
نهض تاركاً الصبى ، وتاركاً المذياع يقدم بعض الموسيقى
الكلاسية .. ودخل المطبخ ليلتهم بعض المخللات
كعادته - لا تنس أنه مريض - وأعد بعض الشيكولاتة
الساخنة باعتبارها بالتأكيد تروق لصبى وقح ..

بالطبع لم ير الصغير شيئاً من طقوس غلى الماء
وغسيل الأكواب ، وإلا لمات اشمئزاً وأراحنا ..
المهم أن (عزت) عاد حاملاً كوبين يبدو مظهرهما
مطمئناً .. وضعهما على المنضدة ليبردا .. هنا توقف
قلبه ذهولاً ..

نهض وأعاد تأمل المشهد مرتين وثلاثاً لكنه كان
حقيقياً تماماً .. إن ما صنعه الصبى بالصلصال ليفوق
الوصف .. إنه أغرب وأبدع وأبشع ما رآه فى حياته ..

- « أنت فعلت هذا ؟ »

هز الصبى رأسه واستنشق ليمنع المخاط من التدلى
كالعادة ، فسأله (عزت) :

- « أين رأيت هذا ؟ »

- « لم أره قط .. لكنى أردت أن أصنع مثله .. »

فتح (عزت) فاه فى غباء ، وأعاد تأمل المشهد ..

دار حول التمثال بضع دقائق ، ثم نهض مسرعاً إلى
الرف الخشبي المربوط بحبلين ، والذي يعتبره المكتبة ..
على الرف كان ذلك المجلد الإيطالى براق الصفحات والذي
يظهر بعض أعمال النحت الشهيرة عبر العصور ..
لقد رأى هذا التمثال مراراً ويعرف معناه .. قليل من
الناس كان يملك هذا التمثال فى العصور الوسطى ، وكان
ثمن حيازته باهظاً . فى الغالب كان الحرق هو مصير
الساحر الذى يجدون لديه تمثالاً للشيطان (بيموك) ..
الفيل منتفخ البطن الذى يمشى على قدميه الخلفيتين ،
ويتحسس بطنه فى جشع ..

(عزت) كان يعرف هذا لأنه مثال مولع بالتماثيل القديمة .. ولكن من أين عرف الصبى هذا ؟ وإن عرفه كيف استطاع أن يسيطر على يديه الصغيرتين كى يشكله من الصلصال ؟

. كان (عزت) يقف متصلباً عاجزاً عن الكلام .. لكن القشعريرة بدأت تزحف على عموده الفقرى ببطء ، كأنما تغطيه بطبقة من الثلج .. هذا ليس طفلاً عادياً .. ربما ليس طفلاً أصلاً ..

★ ★ ★

أنا الآن فى مدخل الفيلا العتيقة .. (اللوبى) كما يسمونه ..

كان المشهد بالداخل أقل سوءاً مما تخيلت ، ويمكن بشيء من التجاوز اعتبارها مجرد فيلا متسخة مغبرة تملؤها العناكب .. لم يكن هناك أثاث وهذا أفضل .. لا أحب مائدة الطعام الطويلة المغطاة بالأتربة وأنسجة العناكب ، حتى كأنها قاعة عرس

مس (هافيشام) فى رائعة (ديكنز) (آمال كبار) ..
هل قرأتموها بعد ؟ لا ؟ إذن لا تنسوا ذلك لو ظللنا
أحياء ..

مشيت أحسس مواطئ قدمى ورحت أرفع ساقى
فى حذر .. لقد صارت الرؤية أكثر عسراً والسبب
ليس قدوم الليل ، بل لأن هذه الفيلا صارت بيئة
معادية للضوء .. بعد كل هذه الأعوام لم يعد الضوء
يستطيع الدخول هنا دون تخرج .. إنه يعامل كغريب
غير مرغوب فيه ..

ولكنى كنت قادراً على رؤية الجدران .. أستطيع
رؤيتها ورؤية تلك العلامة الغريبة التى تبدو كأنما
رسمت بالدم .. رمز غريب لا يمكن تقليده بحروف
المطبعة ، لكنه إلى حد ما قريب من هذه العلامة
(*) وهذه العلامة (#) .. أنا لم أضل السبيل إذن ..

لا يوجد طابق علوى .. إنما هناك ممران .. واحد
يقود إلى اليمين وواحد إلى اليسار .. بالطبع أختار
الممر الأيمن كبداية .. الآن صار الظلام أكثر حدة ،

وللمرة الأولى خطر لى أنه من الحكمة أن أعود وأن
أجد ضوءاً .. هذه مغامرة مشكوك فيها وبعد دقائق
ستكون لا جدوى منها ..

كنت أتبين ما يشبه قاعة واسعة خالية من الأثاث
تقريباً .. لكن كانت هناك مائدة ضخمة فى وسطها ..
ذات المائدة التى كنت أخشى أن أراها .. وكانت هناك
نوافذ مهشمة ينساب منها ضوء النهار الذى صار
الآن مزرقاً .. كلا ليس مزرقاً بالضبط .. إنه كلون
(الإكلديس) فى جانب النجوم الذى سأراه يوماً ما ..
ألم أحك لكم أسطورة جانب النجوم بعد ؟ نعم ؟ إذن
ذكرونى بذلك لو ظللنا أحياء ..

قررت أن أستدير وأعود ..

لكن صوتاً ما حازماً جاء من مكان ما فى الظلمة ..
وقال لى

* * *

« أنت أيها القادم .. لن تعود ! »

وللتفت (عزت) المذعور إلى الصبى الذى راح يهتز
أمامًا وخلفًا ، وعيناه جاحظتان .. بالأحرى لم يكن
يتخيل أن عيني البشر قادرتان على كل هذا الجحوظ ..

« أنت أيها القادم .. لن تعود ! »

ومع الجحوظ بدأ الشيء الذى لا بد أن يحدث .. الزبد
يتفجر من شدة الغلام .. لهذا كان القدماء يخافون
مرض الصرع ويعتبرونه مسًا شيطانيًا .. لكن هذه
لم تكن نوبة صرع لأن (عزت) رآها من قبل ..

« اسمع يابنى .. هل أنت بخير ؟ »

وكان أشد ما أثار هلعه هو الصوت الناضج الضاغط
على الحروف ، والذى يتكلم به الصبى .. عبارة معقدة
جداً يصعب أن نسمعها من طفل .. كأنها كلمات
الكهان فى كتاب الموتى ..

من هو القادم ؟ ولماذا لن يعود ؟

راح (عزت) يصفع الصبى صفعات رفيقة على

خديه ، وهو يبسمل ويحوقل ، وتناول إناءً يحوى الماء
الذى يرطب به الصلصال ، وقذف بما فيه فى وجه
الصبى عله يتحسن .. لكن النوبة ازادت سوءاً ..

- « أنت أيها القادم .. لن تعود ! »

- « الله يخرّب بيتك يا (رفعت إسماعيل) ! »

هذا العجوز لن يكف أبداً عن إشارة هلعك .. كل
ما ينتمى إليه أو يخصه مخيف مفزع .. أو غريب لا يمكن
فهمه .. حتى فى الليلة التى يطلب منك أن تضى بطفل ،
يتضح أن هذا الطفل ممن يسيل الزيد من أشداقهم ،
ويقولون كلمات مخيفة بصوت غير صوتهم ..

سأغادر هذه البناية .. سأغادرها .. سيكون هذا
أول شىء أقوم به غداً ، وإن لم أجد مسكناً فلسوف
أقتل هذا الشىء المشنوم الأصلع ..

هكذا راح (عزت) يصب وبال غيظه على ،
وينظر فى زعر إلى هذا المشهد غير المعتاد ..
إن ما يفكر فيه الآن هو شىء واحد ..

★ ★ ★

الفرار !!

لا بد من الفرار .. حالاً ..

لكن الصوت الذى تكلم إلى والذى عرفت الآن أنه
أت من حيث المائدة ، تكلم من جديد فقال :

- « لا تفكر فى هذا أيها القادم .. إن من يأت لن
يعود .. »

ونظرت إلى الوراء لأجد أن فتحة الممر التى
جئت منها لم تعد هناك .. لقد صار جداراً مصمتاً
مسدوداً .. حمداً لله ! هذا يسرنى .. معنى هذا أن
كل ما أمر به هلوسة بصرية وسمعية ..

- « أنت لا تهذى أيها القادم .. قلبك يعرف هذا
وإن كان عقلك يأباه .. ألا فاتبع قلبك وتعلم منه .. »

نظرت فى ببطء وتوجس إلى المائدة التى كانت
مسربلة بالظلام .. الآن أرى تفاصيلها فى الضوء
الأزرق الواهن القادم من مكان ما ..

- « تعال واجلس مع شياطين (بيموك) .. »

لم يبد لي الاسم محبباً .. لكنى وجدت نفسى أتقدم
كالمنومين مغناطيسياً لأقف فى دائرة الضوء الأزرق
على بعد خطوات من المائدة المغيرة ..

نسيت هنا أن أقول إن الكلام لم يكن بالعربية
ولا الإنجليزية ولا أية لغة أعرفها .. لكنه برغم هذا كان
مفهوماً تماماً لى كأنما لأذنى جهاز ترجمتها الخاص ..
الآن أصف لكم الجالسين على المائدة ..

★ ★ ★

١٠- كراكوس والأعزاء الآخرون ..

كانوا سبعة .. وقد احتشدوا فيما يشبه مؤتمراً صغيراً حميماً .. لكنهم لم يكونوا مثلنا .. للدقة أقول إن خمسة منهم لم يكونوا مثلنا .. كانوا موميאות متحالة برزت عظامها ، وإن احتفظت بوضع الجلوس ، وقد تكفلت الديدان مع نسيج العناكب بجعل المشهد لا يطاق ولا يوصف .. رائحة ؟ لا .. لم أشم رائحة ما ، وعلى كل حال ليس أنفى بأفضل الأنوف فى هذا العالم ..

أما الاثنان الآخران فكانا أقرب إلى شيخين مهتمين يرتديان أسمالاً بالية .. الحق أقول إن طول أظفار الواحد منهما كان مبالغاً فيه بعض الشيء ، وإن أحدهما كانت له بدل العين اليسرى فجوة خالية سوداء .. الخلاصة لم يكونا فى حالة أفضل بكثير من الجثث الجالسة حولهما ، وكانت أنسجة العناكب تحيط بهما مما يدل على أنهما كسولان إلى حد ما ..

هنا فقط بدا أن قلبي لم يعد يتحمل أكثر .. وساد
ظلام دامس ..

★ ★ ★

« انهض أيها الفاني .. انهض !! »

صرخ الصبى وراح يركل ذات اليمين وذات اليسار ،
فهوى حذاؤه على شفة (عزت) ليمزقها .. لكن
(عزت) امتص الدم ، وراح يحاول منع هذا التمسك من
إيذاء نفسه .. تباً لك يا (رفعت إسماعيل) يا عصا
المكنسة المريضة .. مفاجآت العجوز الشائقة لا تنتهى
هذه الليلة .. كان شعر الصبى يغطى وجهه بالكامل
الآن فلم تعد عيناه ظاهرتين لحسن الحظ ، لكنه كان
يتلوى جاهدًا من أجل الإفلات .. لماذا ولأين ؟ لا أحد
يدرى ..

« انهض أيها الفاني .. انهض !! »

وهذه المرة طار حذاء الصبى ليحطم المزهرية ،
ثم بدأ يرتجف بتلك الرجفة الكهربائية الجلفانية التى



لكن (عزت) امتص الدم ، وراح يحاول منع هذا التعس من إيذاء

نفسه ..

يعرفها أطباء الأعصاب جيداً ، ويشيب لهولها من لم يروها من قبل ..

- « فاليوم ! أنا بحاجة للفاليوم ! »

لم يكن (عزت) ذا خبرة طبية ، لكنه كان يعرف ما يكفى .. الفاليوم يهدئ النوبة الصرعية ، وهو يملك أمبولاً منه لأنه يصاب بتشنجات أحياناً .. ترك الصبى يركل ويرغى ويزبد ، وهرع إلى الصيدلية فبحث عن محقن .. ثم كسر الأمبول بأسنانه فابتلع بعض الزجاج المهشم ، وامتص بالمحقن ما تبقى من السائل .. إن ما بقى لن يزيد على نصف الأمبول ، وهو فى الغالب جرعة مناسبة لطفل ..

هرع جرياً إلى الصبى وبرك فوقه - بالمعنى الحرفى للكلمة - وأفرغ المحقن فى فخذه ..

النبأ السار الذى لم يعرفه (عزت) أن الحقن بالعضل لا يؤدي عمله بنفس سرعة الوريد ، وهكذا

تلقي عدة لكمات شنيعة ، وعضه (رامي) في ساعده
عضة أسالت الدم ..

وأخيراً همدت حركة الصبى قليلاً .. ثم ..

★ ★ ★

ثم أفقت أنا ..

كانوا جالسين حيث هم .. بينما كنت أنا على الأرض
وسط ما بدا لي حين نهضت كنجمة خماسية .. نعم
هي كذلك .. مرسومة بالطبشور وفي مركزها بالضبط
نلك الرمز الذي رأيته مراراً .. فهمت .. لقد وقفت كالأحمق
منذ البداية وسط دائرتهم ، وفقدت وعيي فوقها ..
ربما هذا هو السبب الذي جعلهم يتجلون لي في أول
زيارة .. ربما أن محظوظين آخرين دخلوا وخرجوا
دون أن يروا هذا الاجتماع الرهيب ..

قال ذو الصوت الجهورى :

- « فاعلم أيها الفانى القادم من أرض الفاتين ،
أنك فى حضرة شياطين (بيموك) .. (كراكوس)

وإخوانه ينتظرون هنا من دهور .. وأنت لست آخر
القادمين ، ولا أنت أولهم .. »

وقال الثانى :

- « إنه فان كما يكون الفناء ، ولا يصلح لشيء ..
فلنتركه يا (كراكوس) .. »

- « ليس بعد أن عرف ما عرف .. »

- « ليس من علم كمن لم يعلم .. »

استجمعت صوتى أخيراً وقلت وأنا أقتع نفسى إتنى
أهلوس لا أكثر :

- « من أنتم ؟ »

- « أنت تعلم .. فى قلبك تعلم .. »

وقال الثانى :

- « أنت رأيت جزءاً من جانب النجوم أيها الفانى ..
قلبك يقول إنك رأيت وعرفت .. تعلم أن هناك ثغرات
عدة تقود إلى عالمكم .. هذا البيت يكمن فوق ثغرة

من تلك الثغرات ، وقد جئنا جميعاً منها يوماً حين كان
جدودك فى بطون أمهاتهم ، لكننا لم نستطع العودة .. »

لم أكن قد زرت جانب النجوم الرهيب فى ذلك
الوقت .. سأحكى لكم القصة بالتفصيل فى (أسطورة
جانب النجوم) .. لكنى كنت بالفعل قد وقفت على
الجانب الآخر منه فى ذلك اليوم الرهيب ، بينما
صديقى الرومانى (جوستاف) يعوى كالذئب من هول
ما رأى .. جانب نجوم (رومانيا) الذى يعبر منه
مصاصو الدماء والمذعوبون إلى عالمنا التعس ..

هؤلاء جاعوا من جانب النجوم ، ومن حظنا التعس
أن المرحوم (أبو العلا) لم يجد بقعة فى الأرض يبنى
عليها تلك الفيلا إلا فوق الفتحة .. الباب السرى الذى
يقود إلى جانب النجوم .. ربما المنفذ الوحيد فى مصر
كلها ..

قلت لهم وأنا أشعر بسخف موقفى إذ أجادل هذه
الكائنات المريعة :

- « والصبى ؟ ما ذنب الصبى كى تمسوه ؟ »

قال (كراكوس) بصوته المعدنى الأجش الرتيب :

- « لقد جاء بكامل إرادته إلينا ، وكان صبياً حار

الدماء بينما نحن نتلاشى كما ترى .. »

- « لا أفهم .. »

- « ولن تفهم أيها الفانى أبداً .. إن حياتنا طويلة

طويلة تبدو لكم أبداً كاملاً ، لكنها تنتهى برغم كل

شئ .. وعلينا أن نجد دماً شاباً نجرى فيه قبل أن

نتلاشى .. »

ومد يده المخلبية دون رفق وهز إحدى الموميאות

الجالسة .. على الفور هوت هذه على الأرض بصوت

كئيب وأردف :

- « لقد فقدنا بعضنا .. لكننا لن نفقد آخرين .. نحن

هنا ننتظر .. ننتظر .. مئات السنين بالنسبة للفاتين هى

دقائق بالنسبة لنا .. ولن يطول الأمر قبل أن يتسلل طفل

آخر إلى هذا البيت يحدوه فضول لا يرتوى .. »

ثم رفع نحوى وجهه بتلك الثغرة الشائهة فى موضع العين ، وقال :

- « .. الصبى يصلح ، وقد بدأت دماء (دراكون) تجرى فى عروقه .. لكنه يقاوم .. مازال يقاوم .. »
- « يقاوم ؟ كل هؤلاء القتلى الذين فتكت بهم عيناه وتقول إنه يقاوم ؟ »

- « ألم يرسم لكم شياطين ؟ إنه حاول أن يبلغكم الرسالة فلم تفهموا .. ولو فهتمم ما استطعتم نجاته .. إن الشر أقوى منه وهو يطلب الخلاص فلا يناله .. »
- « وماذا تريدون ؟ »

- « أن نستمر .. هذا هدفنا كما هو هدف الفانين جميعاً .. »

- « ولماذا البشر ؟ إن الحيوانات تؤدى نفس الوظيفة .. »

- « ومن تحسب تلك القطط السوداء بالخارج ؟ لقد

كانت منا يوماً ما ثم مسسناها .. لكن القطط محدودة
القدرات لا تمنحنا ما نريد .. أما الصبية فيصلحون لكل
شيء .. »

★ ★ ★

كان ذلك حين فتح (رامى) عينيه ..

فى هذا الوقت نجد أن حالة (عزت) النفسية فى
الحضيض ، وكان يتمنى أن ينام الصبى أكثر ، لكن
الفااليوم لم يمنحه للأسف إلا عشر دقائق لسبب غير
مفهوم ..

هنا سمع دقات عنيفة مختلطة برنين جرس تأتى من
الخارج .. دقات على باب (رفعت) لآبابه .. غريب
هذا .. من يزور الكهل (رفعت) ويدق بهذا الحماس ؟

نهض (عزت) وفتح الباب ليلقى نظرة على البهو ،
فوجد رجل لا يعرفه .. رجلاً غارقاً فى العرق لا يبدو
كلص أو شبح ، يواصل دق باب (رفعت) فى قلق ،
فلما شعر بأن هناك من يفتح الباب خلفه استدار وقال
مفسراً :

- « لا مؤاخذه .. هل الدكتور (رفعت) رفعت خليل (موجود عندك ؟ »

- « إنه بالخارج .. ماذا تريد ؟ »

- « إن أم الغلام معى .. أعنى الغلام الذى يقيم مع الدكتور .. هل أنت ؟ »

عاد (عزت) يفهم ما هنالك :

- « أم الغلام ؟ من أنت ؟ »

- « ومن أنت أولاً ؟ »

- « أعتقد أن الغلام الذى تتحدث عنه عندى أنا .. والآن من أنت ؟ »

جفف الرجل عرقه المتصبيب ، وقال :

- « أنا سائق سيارة أجرة لا أكثر ولا أقل .. أولاد الحلال طلبوا منى أن أوصل الأم من المستشفى إلى حيث تريد .. وقد طلبت أن تأتى هنا أولاً لترى ابنها .. لكن من الواضح أن »

لم يكن (عزت) يفهم حرفاً من الموضوع ، لكن سره أن أم الصبى فى القصة .. إن الخلاص قريب ..

- « وأين الأم ؟ »

- « إنها فى السيارة تنتظر .. مسكينة .. يبدو أنها أجرت جراحة فى وقت قريب .. لكنها لم تتحمل البقاء فى المستشفى حتى غد .. بينى وبينك .. لا أحد يحب المستشفى .. إنها تجلب الاكتئاب .. »

قال (عزت) فى حذر :

- « اذهب وقل لها إن الصبى عندى .. لن أعطيه إلا لها .. »

- « لكنها لا تستطيع أن »

- « وأنا لن أعطى الغلام لأول غريب يطرق بابى .. »

بنت الحيرة على الرجل ، لكنه كان يستجيب للشهامة المصرية العتيقة التى لم نعد نراها كثيراً هذه الأيام ، وكان يشعر أن المرأة وابنها مسئوليتيه الخاصة لا مجرد

زبونين عاديين .. لهذا هز رأسه ثم هبط فى الدرج ،
وبعد عشر دقائق وجد (عزت) أمامه امرأة مريضة
شاحبة كأنها كانت بين الأموات منذ ساعتين ، وفى أسوأ
حال ممكن .. كانت تستند إلى ذراع السائق ، وتصعد
فى الدرج بصعوبة بالغة .. شعر (عزت) أنه متوحش
قاس ، لكنه لم يكن يعرف مدى سوء حالة المرأة ..

هرع يساعدها على دخول شقته ، فى حين
تساءلت هى فى لهفة واهنة :

- « أين (رفعت) ؟ لماذا لم يظل بقرب (رامى) ؟ »

قال لها وهو يمنحها مقعدًا :

- « أنا جار (رفعت) لكنى لا أعرف أين هو ..

أحسبه يفعل شيئاً ما بخصوص (رامى) بالذات .. »

لكنها لم تجلس .. صاحت فى لهفة :

- « (رامى) ! أين هو ؟ »

- « بخير .. إنه بالداخل »

ولم تنظر الأم دعوة .. لقد هرعت إلى الداخل
حيث كان (رامى) راقدًا على الأريكة منهكًا من
حالة (الترانس) التى كان فيها .. بعد ثوان كان فى
حضنها وهى تعتصره عصرًا ، وتلثم العرق على
جبينه حبة حبة .. وقف (عزت) على الباب فى
غباء ينتظر ما سيقال ، أما السائق فراح يهز رأسه
متصعبًا .. ياسلااااام ! قلب الأم !

أخيرًا انتهى هذا السيرك المقام فى شقة (عزت)
برغم إرادته ، وأخرجت (هناء) جنيهاً من حقيبتها
- له رائحة مطهرات المستشفى وعبقها - نقدته
السائق (كانت هذه ثروة فى تلك الأيام) .. قال
وهو يدسه فى جيبه :

- « لا أريد شيئاً يامدام .. يكفينى الثواب .. »

ومن جديد هز رأسه متصعباً وهو ينصرف :

- « ياسلااااااام ! قلب الأم ! »

هنا فقط تهاوت (هناء) على الأريكة جوار ابنها ،
وراحت تلهث ، ثم سألت (عزت) :

- « ما معنى هذا ؟ ماذا أصاب ابني ؟ »

تلعثم (عزت) كعادته كلما هوجم أو شتم بعض الاتهام فى الكلام ، وقال فى حماس :

- « هو الذى بدأ يصرخ ، ويتكلم بصوت غريب و.... أراهن أنه مصاب بالصرع ! »

لم تبد مندهشة أو مستنكرة .. فقط قالت فى غموض :

- « لقد شعر قلبى بهذا فلم أطق صبراً على البقاء فى المستشفى أكثر .. كنت أعرف أن (رامى) فى ورطة .. هل تصدق هذا ؟ »

نظر لها (عزت) غير فاهم ، فقالت مفسرة :

- « قلب الأم كما قال السائق .. لقد ظل هذا الصغير فى أحشائى تسعة أشهر جوار قلبى .. بل إن جزءاً من روحى موجود فى روحه .. ليس من الشاذ أو الغريب أن أشعر بكل ما يشعر به وأحدث الباقي .. إن (رامى) فى ورطة ، أما (رفعت) ففى كارثة وإبنى لأسأل الله أن يتولاه برعايته .. »

- « لا تقلقى على (رفعت) .. إن حياته كلها كارثة طويلة لا تنتهى .. »

كانت يداها ترتجفان حين مدتهما إلى (عزت) ..
وقالت فى وهن :

- « أريد مذياعًا هنا .. لا بد من قرآن .. إن فى حقيبتى مصحفًا .. »

وأخرجت المصحف من الحقيبة وأخذت شهيقًا عميقًا ، ثم حانت منها التفاتة إلى التمثال المخيف للفيل الذى يمشى على قدميه الخلفيتين .. فقالت مستنكرة :

- « ما هذا ؟ »

- « هذا ؟ هذا (بيموك) .. إنه شيب ... شيطان ! »

قالها كالمذنب - برغم أن ابنها هو من صنعه -
فصاحت مشمئزة :

- « تخلص منه خبيك الله .. تخلص منه ! »

مد (عزت) يده - وقد احمرت أذناه - واعتصر التمثال

الصلصالي كي يحوله إلى عجيين معدوم الملامح ..
وهرع كالمسوع يحضر المذيع .. ومن جبين (رامى)
دنت (هنا) ولثمته فى حنان ، ومن جديد عانقت
الطفل بقوة وهمست :

- « ماما هنا يا حبيبى .. لن يأخذك شر منى ..
سيرون أن حبى لك أقوى منهم جميعاً .. إن الله
معى بينما هم .. هم شياطين .. »

وبدأت تتلو بصوت واهن يرتجف إرهاقاً وتوترًا ..

★ ★ ★

١١-الفرار..

ومن جديد رأيت فتحة الممر قد ظهرت أمامي
كأنما لم تكن .. أتراهم يطلقون سراحي ؟

مشيت إلى تلك الفتحة دون أن أنظر إلى الوراء ..
لم يعترض أحد ولم يتكلم أحد .. الآن أمشى فى مدخل
الفيلا التى غمرها الظلام .. لاداعى للإسراع .. إن
(كراكوس) وإخوته يستطيعون القضاء على أية
لحظة لو أرادوا .. هنا أو هناك .. ترى هل آمل فى
الخروج من هنا حياً ؟

واصلت المشى جاهاً نحو ما تعتقد حواسى أنه
باب الفيلا .. لكن لم يكن هذا هو الباب .. كان ممراً
طويلاً مظلماً .. مشيت فيه بضع ثوان لأجد نفسى
من جديد أمام المائدة التى يجلس عليها (كراكوس)
وأخوته !

مستحيل هذا ! أنا متأكد من حاسة الاتجاهات
عندى .. الفيلا ليست بهذا التعقيد على كل حال .. ليست
متاهة المينوتور وليست أنفاق قصر أسكتلندى ..

ودون أن أقول كلمة أو ألقى تحية ، مررت بالجالسين
فى جلستهم التى دامت قرونا ، واتخذت الممر ذاته
من جديد .. هذه المرة لامجال للخطأ .. ببساطة لأنه
لا اتجاهات أخرى .. الممر ثم الفيلا ..

كان ما توقعته صحيحًا للأسف ..

إننى أمشى فى مسار وهمى لا وجود له يقود دائماً
إلى النقطة ذاتها ، ومن الواضح أننى سأمشى فيه حتى
أموت .. ماذا تتوقع من شياطين جاءت من جانب
النجوم لتدمر حياتنا ؟

« أنت أيها القادم .. لن تعود ! »

كانت هذه أول كلمات حيونى بها ، ومن الواضح أننى
ملتزم حرفياً بها .. لا سبيل لمغادرة قاعة الاجتماعات
الرهيبية هذه ..

★ ★ ★

لهذا يشبه رمزهم شكل المتاهة .. ألم أقل لك إنه
مزيج من هذه العلامة (*) وهذه العلامة (#) ؟

★ ★ ★

الآن (رامى) صامت تمامًا .. لكن قطرات من
الدم تسيل من أنفه ..

توقع (عزت) أن تصاب الأم بلوثة عقلية ، لكنها
تأملت المشهد ومدت يدها النحيلة تمسح قطرات الدم ،
وهمست :

- « إنه يقاوم .. يعرف أنني معه وأنتى أفهم »

وواصلت التلاوة وهى ترمق وجهه من حين لآخر ..
الآن يزداد الدم ليتحول إلى خيط طويل يتدلى من أنف
الطفل .. وبدأت حركات قلقة غير معهودة ترجف فى
ساقيه وذراعيه ..

هتف (عزت) مذعورًا :

- « هل لن يقتله هذا ؟ »

- « لندعو الله أن يستطيع المقاومة .. إنه يحاول
طرد تلك الذات التي سيطرت عليه كل هذا الزمن ..
كان بحاجة إلى عونى ، وقد خفت إليه .. »

ثم بدأ الدم ينبجيس من إبهام الصبى فى مكان حذائه
الذى طار .. دم يحتشد تحت الظفر ثم يحتشد ليسقط
على الأرض .. لم يفهم أحدهما مغزى هذا ، ولو كنتُ
معهما لعرفت على الفور أن هذه علامة مغادرة
الجسد .. إنها العلامة التى يعرفون بها أن الجسد
صار نظيفا ..

★ ★ ★

أطلق أحد الجالسين حول المائدة أنينا خافتاً ثم
سقط على الأرض من فوق مقعده .. صوت السقطة
أخبرنى أن المومياء تهشمت تماماً ..

لا أدرى معنى هذا ، لكنى شعرت أن الأمور تتحسن
بشكل ما .. لم ينهض أحد ليراه ولم يتحرك (كراكوس)
كان الأمر لا يعنيه ، لكنه قال بصوته الغليظ :



أطلق أحد الجالسين حول المائدة أنينا خافتاً ثم سقط على الأرض من
فوق مقعده ..

- « قد فقد (دراكون) الصبى .. »

وكانما حدثت ثغرة ما فى تلك المصيدة الجهنمية
التى وضعونى فيها ، وجدت أننى فى (اللوى) من
جديد ، لكن باب الفيلا كان أمامى هذه المرة ، وكان
موارباً كما تركته بالضبط ..

هرعت أخرج منه وأنا أتعثر فى الأعشاب
المتشابكة ، وألطم أكثر من علبة صدئة منسية من
دهور .. الحق أن الظلام صار دامساً بحق ..

لن أجد الباب وسط هذا الدغل .. لن أقدر .. لو
صرخت لوجدونى بسرعة ولن ينقذنى أحد من البشر ..

إنهم يبحثون عنى .. أسمع حركتهم فى داخل
الفيلا ، وأسمع صوت الغصون المتشابكة تنزاح
هنا وهناك .. يبدو أنهم فقدوا تماسكهم للحظة
لن تطول ، وفى نيتهم ألا يسمحوا لى بالخروج من
هنا ..

هنا وجدت أمامي السيارة التاونس العتيقة الواقفة
دون عجلات ولانوافذ وسط هذه الأحراش .. فى
الظلام تبدو ككابوس أسود حقيقى .. بالداخل كانت
قطتان بيضاوان ترمقانى بتلك العيون الماسية الوجلة ..
وهنا تذكرت شيئاً ..

★ ★ ★

- « ومن تحسب تلك القطط السوداء بالخارج ؟
لقد كانت منا يوماً ما ثم مسسناها .. لكن القطط
محدودة القدرات لا تمنحنا ما نريد .. أما الصبية
فيصلحون لكل شىء .. »

★ ★ ★

هذه القطط بيضاء لاسوداء .. هل أجروا على
الاعتقاد بأن (كراكوس) ومن معه لا يستطيعون
دخول هذه العربة ؟ هل يمكن أن تكون حصناً
آمناً لى ؟

لم يكن مجال للتردد ، فدلقت إلى السيارة وأجفلت
القطتان ففرتا طبعًا ، بينما جذبت الباب لأغلقه على
نفسى .. وبحثت عن وضع يصلح للجلوس بالطبع
دون جدوى فى سيارة ترجع للعصر الحجرى ..

أمامى الحديقة المظلمة لا أسمع فيها إلا مواء
القطط السوداء .. ولا أرى إلا سجادة سوداء كثيفة
تلتصق بالنوافذ .. سأنتظر لأرى .. سأنتظر لأرى ..
وبعد ساعتين - كما بدا لى - بدأت أشعر أن الأمر
آمن بحق ..

لقد رأيت أهوالاً عديدة فى تلك الليلة وأنا جالس
متكور على نفسى فى تلك السيارة العتيقة .. لكننى
لن أحكيها لأنك لن تصدقنى أولاً .. ولأن جزءاً من
هذه الأهوال اختلط بالكوابيس التى كنت أراها حين
أغيب عن الوجود .. الخط الفاصل بين الحقيقة
والحلم قد تلاشى فلم أعد أعرف أين ولا متى ..

لكن الحقيقة التى لا يمكن إنكارها هى أن الأهوال
كانت تدنو من السيارة وتدور حولها ، ثم تبتعد ..
كأن الموج يضرب الصخور ثم يرحل عنها ..
ولا أدرى كيف حدثت المعجزة ولا كيف جاء النهار ..
لكنى كنت مرهقاً جداً بحيث ظلمت حيث أنا حتى
منتصف اليوم ..

★ ★ ★

الخاتمة

قالت (هناء) وهى تحتضن ابنها ، وقد نامت
- أخيراً - فى الفراش بدارها :

- « لايهمنى ما رأيت .. المهم أن (رامى) بخير
أخيراً .. »

قلت لها وأنا ألتهم طعام الإفطار الذى اشتريته من
مطعم قريب :

- « المشكلة هى أن (كراكوس) هذا والآخرين
أحياء والفجوة موجودة .. أعرف شخصاً متحمساً
كان سيقوم بتدمير تلك الفيلا فى الماضى ، لكنه
اليوم كهل واهن لايقدر على شىء كهذا .. »
قالت :

- « سأحاول إقناع زوجي بالكلام مع مسئولى الحى ..
لن يذكر كلمة عن (كراكوس) هذا ، لكنه سيجد
حلاً إدارياً ما .. وعلى كل حال ليس تدمير هؤلاء
سهلاً .. »

ونظرت إلى (رامى) جيداً .. بالتأكيد اختفت تلك
النظرة المخيفة من عينيه .. ولن أندesh لو اتضح
أن بصمات أصبعه هى نفس البصمات القديمة ..
ونهضت وقلت لـ (هناء) وأنا أستعد لمغادرة
الفيلا :

- « سأعود لدارى .. ونصيحتى الوحيدة لك هى أن
تقللى من تمسك (رامى) المرضى بك .. لقد أنقذته
هذه العلاقة الروحية الحميمة مرة ، لكنها لن تنقذه فى
المستقبل حين يغزو رجلاً مسئولاً .. يجب أن تتجبنى طفلاً
آخر ! لا أدرى كيف فهذه مشكلتك أنت .. إن الطريقة
المثلى لتربية الطفل الأول هى أن تتجبنى الثانى ! »

قلبت يدها لأعلى وابتسمت وقالت : يسمع منك
ربنا ..

وهنا دق جرس الهاتف برنين طويل لا يكل ..
فقالَت باسمَة :

- « لعله (منصور) .. »

لم أنتظر حتى أعرف .. لو كان هذا (منصور)
زوجها فقد حان الوقت كي يتصل .. يترك الآخرين
يتحملون مسؤولياته ثم يتصل ليقول إنه يفتقدهم ...

ووقفت فى شمس العصر أرمق الشارع .. كان
هادئاً بالطبع لأن الطقس كان حاراً .. لكنى رأيت سوراً
على الجهة المقابلة من الشارع ، وكان هناك طفلان
يقفان هناك يتسليان بالرسم بالطباشير عليه ..

لم أستطع أن أبعد عيني عن الرسم الذى رسمته
يداهما عشرات المرات على الجدار .. هل تراه ؟ إنه
مزيج من هذه العلامة (*) وهذه العلامة (#) ..

دنوت أكثر لأرى فسمعت أحدهما يقول للآخر :

- « هلم يا (أكرم) .. لقد تأخرنا !! »

وهنا تصلب الشعر على ساعدى ..

(أكرم) ؟ وطبعًا الآخر يدعى (سامح) .. لقد

نسينا كل شيء عن الطفلين اللذين كانا مع (رامى)

فى الفيلا واللذين تأخرا أكثر من ساعة قبل العودة ..

فلماذا تأخرا ؟

رحت أرمقهما فى حيرة من مسافة قريبة ، ويبدو

أن أحدهما لاحظ ذلك ، فاستدار نحوى ونظر بكراهية ..

كراهية جعلت الدم يتجمد فى عروقى وقلبى يكاد

يتوقف .. وعبرت الطريق مسرعًا لأعود إلى

سيارتى ..

لم يكن (دراكون) هو الوحيد الذى حاول وفشل ..

هناك آخرا ن حاولا .. وفى الغالب نجحا ..

ثلاثة لثلاثة أطفال .. هذا عادل .. هذا منطقي ..

وأدركت المحرك وعيناي لا تفارقان الصبيين اللذين
يرسمان على الجدران من بعيد ، وهنا دنا مني
عم (بسطويسى) البواب العجوز ووقف متأدباً
ينتظر حتى أرحل .. فقط قال وهو يلاحظ اتجاه
عيني :

- « إن صبية هذه الأيام شياطين لا بد من يد من
حديد للتعامل معهم .. »
ثم تذكر فأضاف :

- « ما عدا البك الصغير طبعاً .. »

★ ★ ★

فى القصة القادمة كان على أن أعرف سبب
اهتمام كل هؤلاء القوم بهذا العقار بالذات ؟ لماذا
غدا المنزل رقم (5) فجأة أهم منزل فى الدقى ؟

ربما أهم منزل فى القطر .. وربما أهم منزل فى
العالم ..

كالعادة كان هناك سر مخيف ..
ولكن هذه قصة أخرى .

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

روايات مصر القديمة

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط

الغموض والرعب والإثارة

• صدر من هذه السلسلة •

- | | |
|-------------------------------|------------------------------|
| 24 - أسطورة إيجور . | 1 - أسطورة مصاص الدماء . |
| 25 - أسطورة الجنرال العائد . | 2 - أسطورة النداهة . |
| 26 - أسطورة المواجهه . | 3 - أسطورة وحش البحيرة . |
| 27 - أسطورتنا . | 4 - أسطورة أكل البشر . |
| 28 - أسطورة آخر الليل . | 5 - أسطورة الموتى الأحياء . |
| 29 - أسطورة الجاثوم . | 6 - أسطورة رأس ميدوسا . |
| 30 - أسطورة بعد منتصف الليل . | 7 - أسطورة حارس الكهف . |
| 31 - أسطورتها . | 8 - أسطورة أرض أخرى . |
| 32 - أسطورة رفعت . | 9 - أسطورة لعنة الفرعون . |
| 33 - أسطورة أرض المغول . | 10 - أسطورة حلقة الرعب . |
| 34 - أسطورة الشاحبين . | 11 - أسطورة الكاهن الأخير . |
| 35 - أسطورة دماء دراكيولا . | 12 - أسطورة البيت . |
| 36 - أسطورة الفصيلة السادسة . | 13 - أسطورة اللهب الأزرق . |
| 37 - أسطورة الدمية . | 14 - أسطورة رجل الثلوج . |
| 38 - أسطورة النصف الآخر . | 15 - أسطورة النباتات . |
| 39 - أسطورة التوءميين . | 16 - أسطورة النافاراي . |
| 40 - وراء الباب المغلق . | 17 - أسطورة حسناء المقبرة . |
| 41 - أسطورة فرانكنشتاين . | 18 - أسطورة الغرياء . |
| 42 - أسطورة الكلمات السبع . | 19 - أسطورة بو . |
| 43 - أسطورة تختلف . | 20 - حكايات التاروت . |
| 44 - أسطورة رجل بكين . | 21 - أسطورة عدو الشمس . |
| 45 - أسطورة بيت الأفاعي . | 22 - أسطورة المينوتور . |
| 46 - أسطورة طفل آخر . | 23 - أسطورة رعب المستنقعات . |

روايات عالمية للجيب

• صدر من هذه السلسلة •

- | | | | |
|----|---------------------------|----|--------------------------|
| 19 | العالم المفقود . | 1 | فلاش جوردن . |
| 20 | صانع الأمطار . | 2 | كنوز الملك سليمان . |
| 21 | الفيلة وثيلة الجديدة . | 3 | دكتور نو . |
| 22 | سباق الموت . | 4 | حرب النجوم . |
| 23 | كونفوشيوس . | 5 | الفك المفترس . |
| 24 | كلب آل باسكرفيل . | 6 | فوق مستوى الشبهات . |
| 25 | مدينة مثل أليس . | 7 | رحلة إلى مركز الأرض . |
| 26 | الجحش الأزرق . | 8 | الغيبوبة . |
| 27 | مطار (٧٧) . | 9 | الشيطانة . |
| 28 | النطاق المسموم . | 10 | لقاءات من النوع الثالث . |
| 29 | الجزيرة . | 11 | وجاء العنكبوت . |
| 30 | لا تنظري الآن . | 12 | قبضة الشيطان الذهبية . |
| 31 | جزيرة الدكتور مورو . | 13 | نداء الأعماق . |
| 32 | عرين الدودة البيضاء . | 14 | القتل دون مقدم أعقاب . |
| 33 | رحيق الملكات . | 15 | سلالة أندروميديدا . |
| 34 | وصية الثلاثين ألف دولار . | 16 | الفرفة الحمراء . |
| 35 | العميل . | 17 | وادي العناكب . |
| 36 | ما وراء العالم . | 18 | صورة دوريان جراي . |

رجل المستحيل

صدر من هذه السلسلة :

91 - الوجه الخفى .	46 - لبيب الثلج .	1 - الاختفاء الغامض .
92 - الأخطار .	47 - الرصاص الذهبية .	2 - سياق الموت .
93 - أرض العدو .	48 - شيطان المافيا .	3 - قتاء الخطر .
94 - كتيبة الدمار .	49 - الضربة القاضية .	4 - صائد الجواسيس .
95 - الصراع الوحشي .	50 - مهمة خاصة .	5 - الجليد الدامى .
96 - المعركة الفاصلة .	51 - سم الكوبرا .	6 - قتال الذئاب .
97 - الصقر الأعشى .	52 - جبال الموت .	7 - بريق الماس .
98 - القناص .	53 - ذئاب ودماء .	8 - غريم الشيطان .
99 - مذاق الدم .	54 - رحلة الهلاك .	9 - أنياب الثعبان .
100 - الضربة القاصمة .	55 - أفعى برشلونة .	10 - المال الملعون .
101 - انقلاب .	56 - الفهد الأبيض .	11 - المؤامرة الخفية .
102 - نهر الدم .	57 - عملية الأذغال .	12 - حلفاء الشر .
103 - المحترف .	58 - أعدام بطل .	13 - أرض الأهوال .
104 - الأعصار الأحمر .	59 - انتقام شيخ .	14 - عملية مونت كارلو .
105 - عقارب الساعة .	60 - دون كارولينا .	15 - إمبراطورية السم .
106 - الأفقى .	61 - ملائكة الجحيم .	16 - الخدعة الأخيرة .
107 - اتحاد القتل .	62 - ملك العصابات .	17 - انتقام العقب .
108 - الفخ .	63 - الجاسوس .	18 - قاهر العمالة ج ١ .
109 - قبضة الشر .	64 - تحت الصفر .	19 - أبواب الجحيم ج ٢ .
110 - اغتيال .	65 - الجليد ش .	20 - ثعلب الثلوج .
111 - معبد الجريمة .	66 - ألف وجه .	21 - مضيق النيران .
112 - الفريق الأسود .	67 - الجحيم المزدوج .	22 - أصابع الدمار .
113 - رياح الخطر .	68 - قلعة الصقور .	23 - فارس اللؤلؤ .
114 - ممر الجحيم .	69 - أجنحة الانتقام .	24 - الضباب القاتل .
115 - بلا رحمة .	70 - أباطرة الشر .	25 - الخنجر القضى .
116 - مهرجان الموت .	71 - ضد القانون .	26 - آخر الجبابرة .
117 - عمالة الجبال .	72 - شريعة الغاب .	27 - الجوهرة السوداء .
118 - الأربعة الكبار .	73 - المعتقل الرهيب .	28 - قلب العاصفة .
119 - فوق القمة .	74 - الدائرة الجهنمية .	29 - الصراع الشيطاني .
120 - السنيورا .	75 - أسوار الجحيم .	30 - الرمال المحرقة .
121 - وجه الأفقى .	76 - النهر الأسود .	31 - الخطوة الأولى .
122 - الأصابع الذهبية .	77 - عمالة مارسيليا .	32 - خيط الذهب .
123 - المستحيل .	78 - صحراء الدم ج ١ .	33 - القوة (أ) .
124 - اللمسة الأخيرة .	79 - صفقة الموت ج ٢ .	34 - مارد الغضب .
125 - عملية النيل .	80 - وكر الإرهاب ج ٣ .	35 - قرصنة الجو .
126 - ساعة الصفر .	81 - الرجل الآخر ج ١ .	36 - ذئب الأحراش .
127 - نقطة الضعف .	82 - الأخطبوط .	37 - مخبأ الشيطان .
128 - الصحوة .	83 - معركة القمة .	38 - لعبة المحترفين .
129 - القرصنة .	84 - جزيرة الجحيم .	39 - أعماق الخطر .
130 - محيط الدم .	85 - نسة الشر .	40 - مهنى القتل .
131 - الجدود .	86 - الثعلب .	41 - الانتحاريون .
132 - الرمال الحية .	87 - خط المواجهة .	42 - الهدف القاتل .
133 - فريق المستحيل .	88 - سفير الخطر .	43 - المخاطر .
134 - الأبطال .	89 - قبضة السفاح .	44 - العين الثالثة .
	90 - الهدف .	45 - القضبان الجليدية .

ملف المستقبل

سرى جدالا

صدر من هذه السلسلة :

- | | | |
|-------------------------|---------------------------|---------------------------|
| 91 - ضد الزمن . | 46 - الكوكب الملعون . | 1 - أشعة الموت . |
| 92 - الرحلة الرهيبة . | 47 - المقاتل الأخير . | 2 - اختفاء صاروخ . |
| 93 - نقطة الصفر . | 48 - سجن القمر . | 3 - مدينة الأعماق . |
| 94 - الساحر . | 49 - غزو الأرض . | 4 - غزاة الفضاء . |
| 95 - القوة السوداء . | 50 - الأسطورة . | 5 - القنبلة الغامضة . |
| 96 - بدور الشر . | 51 - الرقبة القاتلة ج ١ . | 6 - زائر من المستقبل . |
| 97 - لهيب الكواكب . | 52 - العدو الخفى ج ٢ . | 7 - جنون طاشرة . |
| 98 - ثيران الكون . | 53 - أمطار الموت . | 8 - الارتجاج القاتل . |
| 99 - الانفجار . | 54 - عبر العصور ج ١ . | 9 - صراع الجواس . |
| 100 - الزمن = صفر . | 55 - أسرى الزمن ج ٢ . | 10 - الفارس المجهول . |
| 101 - الجرياء . | 56 - شيطان الأجيال ج ٣ . | 11 - منطقة الرعب . |
| 102 - التوهم الرهيب . | 57 - منطقة الضياع . | 12 - طريق الأشباح . |
| 103 - الأرض المفقودة . | 58 - معركة الكواكب ج ١ . | 13 - الزمن المفقود . |
| 104 - أنياب ومخالب . | 59 - جحيم أرغوان ج ٢ . | 14 - نداء النجوم . |
| 105 - وجوه من ليج . | 60 - أرض العملاقة . | 15 - مثلث القموض . |
| 106 - بلا أثر . | 61 - الكابوس . | 16 - الوباء الجهنمي . |
| 107 - لعنة الدم . | 62 - سادة الأعماق ج ١ . | 17 - نبض الخلود . |
| 108 - مصيدة الفضاء . | 63 - المحيط المتهيب ج ٢ . | 18 - ظلال الفزع . |
| 109 - الدوامة . | 64 - السيف البلوري ج ١ . | 19 - عيون الهلاك . |
| 110 - الضجوة السوداء . | 65 - أبواب الموت ج ٢ . | 20 - العقول العدننية . |
| 111 - كوكب الطاقة . | 66 - الشمس الزرقاء . | 21 - أصلياف الماضي . |
| 112 - بصمة الموت . | 67 - شيطان الفضاء . | 22 - ليلة الرعب . |
| 113 - حرب الفيروسات . | 68 - عقول الشر . | 23 - بصمات السحرة . |
| 114 - الرعب . | 69 - العالم الآخر . | 24 - الضوء الأسود . |
| 115 - العدو الخارق . | 70 - الستار الأسود . | 25 - صهوة الشر . |
| 116 - العاصفة النووية . | 71 - أمير الظلام . | 26 - لعنة الفضاء . |
| 117 - فارس الزمن . | 72 - ابن الشيطان ج ١ . | 27 - الفخ الزجاجي . |
| 118 - ألف عصر . | 73 - مبعوث الجحيم ج ٢ . | 28 - النهر المقدس . |
| 119 - زمن الدم . | 74 - الصراع الجهنمي ج ٢ . | 29 - الايقاع المقتدر . |
| 120 - الفارس الثاني . | 75 - الرحلة الأخيرة ج ١ . | 30 - النار الباردة . |
| 121 - المجهول . | 76 - الاحتلال ج ١ . | 31 - رنين الصمت . |
| 122 - الظلال الرهيبة . | 77 - المقاومة ج ٢ . | 32 - الأفق الأخضر . |
| 123 - دائرة الظل . | 78 - الصراع ج ٣ . | 33 - حارس الأرواح . |
| 124 - الغزاة . | 79 - التحدي ج ٤ . | 34 - وحش المحيط . |
| 125 - كرة النار . | 80 - النصر ج ٥ . | 35 - امرأة القدر . |
| 126 - لهيب الرعب . | 81 - رمز القوة . | 36 - الموت الأزرق ج ١ . |
| 127 - طريق النجوم . | 82 - حصن الأشرار . | 37 - السماء المظلمة ج ٢ . |
| 128 - الزمن الآخر . | 83 - أرض العلم . | 38 - من وراء النجوم ج ٣ . |
| 129 - وراء العقل . | 84 - كنز الفضاء . | 39 - الثلوج الساخنة . |
| 130 - القوة . | 85 - الأمل الفيروزي . | 40 - علامات الخوف . |
| 131 - العاصفة . | 86 - الإمبراطور . | 41 - مملكة النار . |
| 132 - الرمال الحية . | 87 - نصف إلى . | 42 - الأرض الثانية . |
| 133 - نقطة التماس . | 88 - الانفجار الحي . | 43 - ثقب في التاريخ . |
| 134 - سادة الكون . | 89 - البركان . | 44 - الخارقون . |
| | 90 - رعب في الأعماق . | 45 - السحاب الأحمر . |

فانتازيا

مغامرات ممتعة فى أرض الخيال

- | | |
|--------------------------|--------------------------|
| 13 - رجل من كريبتون . | 1 - قصة لا تنتهى . |
| 14 - من بعد سوبرمان . | 2 - حكايات من الاشيا . |
| 15 - عدام فى البرج . | 3 - صفر... صفر... سبعة . |
| 16 - شبح وشيطان . | 4 - إمبراطورية النجوم . |
| 17 - اقتلوا بطوط . | 5 - ذات مرة فى الغرب . |
| 18 - توم ومن معه ! | 6 - خيول ورماح . |
| 19 - خمسة منهم ! | 7 - ألعاب إغريقية . |
| 20 - من فعلها ؟! | 8 - مملكة الموتى . |
| 21 - لا تدخلوا شيروود . | 9 - الخناقون . |
| 22 - قلعة السفاحين . | 10 - الاسم شكسبير . |
| 23 - أرض .. قمر .. أرض . | 11 - نداء الادغال . |
| 24 - فليدخل التنين . | 12 - بين عالمين . |

رقم الإيداع : ١٦٩٦٨ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : ٧ - ٧ - ٥ - ٢٦٦ - ٩٧٧